تجارب فريدة

فى

دنيا القصيدة

كتبها

زينهم البدوى

إخراج فنى

جمال عبد الغفار بدوى

سفير الدولية للنشر

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م
حقوق الطبع محفوظة
رقم الإيداع : ١٥٣٧٨ / ٢٠٠٨
الترقيم الدولي : ISB 977-6127-15-0
سفير الدولية للنشر - مصر
16 ش محمد عز العرب (المبتديان) قصر العينى - ص.ب: ٤٢٥ الدقي - القاهرة
تليفون:٢٠٢ ٢٥٣٢٩٩٠٢+ فاكس : ٢٠٢ ٢٥٣٢٩٥٠٥+
Mail: safeer@safeerinternational.com — Web Site: www.safeer.com.eg
المعرض الدائم
٤٨ ش أحمد عرابي المهندسين
تليفون : ٢٠٢ ٣٣٠٤٩٤٠٣+

توطئة

عهدنا بالمختارات الشعرية أنها حصاد ذائقة المختار، أعنى من يختارها، وأنها تصدر عن رؤيته الذاتية أكثر من صدورها عن منهج موضوعى.

أما هذه المختارات فإنها تجىء على نحو غير مسبوق؛ فهى فى تقديرى- أول مختارات وفق معيار التفرد شكلاً أو مضموناً؛ فهذا رثاء شاعرة لزوجها بعد أن قتله أخوها، وهذه محاورة شعرية على نفسه «قالت..... قلت.....»، وهذا شاعر يبدع قصيدة من عيون الشعر العربى فى وصف أخته الجميلة البلهاء، وهذا لص فى منزل شاعر لا يملك إزاء اللص إلا أن يرثى لحاله لأنه لن يجد بغيته، وهذه درة التاج فى شعر الرفض، وهذه حكمة الأفعى، وهذه تخاريف تنضح بآيات الحكمة، وهذه ثورة شاعر البؤس، إلى غير ذلك من التجارب الفريدة.

ولم يكن سعيى إلى الجديد هدفًا فى حد ذاته، بل إن ثمار هذا الجديد كانت الغاية المرتجاة، فقديمًا قالوا: إنه السحاب لا يرتجى للإمطار، بل يرتجى للإثمار، ورحم الله شاعرنا محمود أبا الوفا؛ إذ يقول:

لم أقل غير ما حسبت مفيدا ليت شعرى هل قلت شيئًا مفيدا
فإذا عشت عشت حرًّا ضميرى مستريحًا لما صنعت سعيدا
وإذا متُّ متُّ حـــــرًّا لأنى لم أضف للحياة قيدًا جديدًا
بل إذا مت لم أَجُـــرَّ ورائى من كلامى سلاسلاً وقيودا

ويالها من ثمار !! تلك التى جنيتها من سباحتى فى عيلم القريض،لقد وقفت على كنوز تعد درة التاج على جبين الإبداع الشعرى فى ديوان العرب قديمه وحديثه.

وإذا كان من سبقنى إلى عالم المختارات الشعريه قد رضى بالسير من العطاء، وقنع بإيراد التجربة وحدها، فإنه جهد خليق بالشكر والثناء. بيد أنى آثرت أن أضيف رؤيتى لموقع الشاعر على خريطة الإبداع الشعرى، وإطلالة على صاحب لتجربة فيما يشبه السيرة الذاتية أو نبذة منها، وقالوا عن صاحب التجربة فيما يشبه الرؤى النقدية وشهادات المعاصرين وأعلام الفكر والأدب والنقد، وأضواء على التجربة وسر التفرد بلغة تعكس رؤيتى لسر أسرار الإقناع والتأثير فى التجربة الشعرية.

والله أسأل أن يكون لهذا الجهد أثره المحمود، وأن يعيننا على المزيد، فالسباحة فى عيلم الشعر والغوص فى أعماقه سعيًا إلى فريد الآلئ يحتاج إلى التوفيق والرشاد من رب العباد وهو ولى ذلك والقادر عليه، فله الحمد والمنة، ولنا برحمته العفو والجنة.

زينهم البدوى

إننى قاتلة مقتولة

للشاعرة جليلة بنت مرة الشيبانية

إننى قاتلة مقتولة ولعل الله أن يرتاح لى

- تلك خلاصة التجربة الإنسانية الفريدة التى عانت ويلاتها إحدى شواعرنا المجيدات ، وعندما تذكر النساء الشواعر فلن يغفل ذكرها أبداً ، إنها جليلة بنت مُرَّة .
- أما تجربتها الحياتية والفنية فهى غاية فى التفرد .
- ولعلها أول مأساة يصورها الشعر العربى على هذه الصورة الشعرية الآسرة ،كما يرى الشاعر الأستاذ فاروق شوشة .
- فالمأساة هنا مأساة مزدوجة أو هى بتعبير آخر – والقول للأستاذ فاروق – مأساة من جانبين إنها مأساة زوجة عربية شاعرة قتل أخوها زوجها .

إطلالة على صاحبة التجربة

- جليلة بنت مُرَّة الشيبانية شاعرة فصيحة من ذوات الشأن فى الجاهلية ، وهى أخت جَسَّاس ، قاتل كُلَيْب بن ربيعة أخى المهلهل ، وكان كليب زوجها .

- أما جساس أخوها فهو من بنى بَكْر بن وائل شجاع من أمراء العرب ، له شعر قليل ، وقد تسبب بقتله كليبًا فى نشوب حرب طاحنة بين قبيلتى بكر وَتغْلِب دامت أربعين عامًا ، ومات جساس فى آخرها .
- ولا تذكر كتب التراجم إلا النزر اليسير عن حياتها وشعرها، ولا تورد هذا النزر إلا مقرونًا بقصة قتل شقيقها جساس لزوجها كليب ، وما أعقبه من أحداث .
- وفى الأعلام للزركلى إشارة إلى أن وفاتها كانت نحو عام ٥٤٠ من الميلاد دون ذكر لتاريخ مولدها .

قالوا عن صاحبة التجربة

فى هذا السياق الذى نتأمل فيه نماذج باهرة من شعر المرأة العربية تجىء قصيدة جليلة بنت مرة التى تصف نفسها بأنها قاتلة مقتولة ، فقد قتل أخوها جساس زوجها كليب بن ربيعة سيد وائل ، عندما دخلت ناقة البسوس ضيفة أخيها جساس حمى زوجها كليب فرمى ضرعها بسهم فقتلها ، فثار جساس لما أصاب

ناقة ضيفته وقتل كليبًا ، وكان سببًا فى إشعال حرب البسوس التى أهلكت أجيالاً متعاقبة من المتحاربين .

وبين مصرع الزوج المقتول وجريمة الأخ القاتل تؤثر جليلة الرحيل عن قوم زوجها، فلم يعد مقامها بينهم مستحبًّا ، وعندما تتهمها أخت كليب بأنها ترحل رحيل الشامت تجيبها جليلة بأبياتها التى تتوهج بصدق الإحساس بالفجيعة ولوعة الفقد للزوج المقتول ، وللأخ الذى لابد أنه سيقتل بدوره .

الشاعر فاروق شوشة

فى سياق تأمله لنماذج باهرة من شعر المرأة العربية فى مقالة بمجلة العربى الكويتية ع ٥١٤ سبتمبر ٢٠٠١ م

أضواء على التجربة

لما قتل جساس كليبًا اجتمعت نساء الحى وقلن لأخت كليب: رحِّلى جليلة عن مأتمك ، فإن قيامها فيه شماتة وعار علينا عند العرب ، فقالت لها : يا هذه اخرجى عن مأتمنا فأنت أخت واترنا وشقيقة قاتلنا .

فخرجت وهى تجر أعطافها، فلقيها أبوها مُرَّة، فقال لها: ما وراءك يا جليلة ؟ فقالت: ثُقْل العدد وحُزْن الأبد وفَقْد حليل

وقَتْل أخ عن قليل ، وبين ذين غَرْس الأحقاد وتفتيت الأكباد ، فقال لها : أو يكف ذلك كرم الصفح وإغلاء الديات؟ فقالت جليلة : أمنية مخدوع ورب الكعبة .

ولما رحلت جليلة قالت أخت كليب: رحلة المعتدى وفراق الشامت. ويل غداً لآل مُرَّة من الكرَّة بعد الكرَّة . فبلغ قولها جليلة فقالت: وكيف تشمت الحرة بهتك سترها وترقُّب وِتْرِها، أسعد الله جَدَّ أختى، أفلا قالت: نفرة الحياء وخوف الاعتداء: فكانت هذه القصيدة التى تعد من عيون الشعر العربى لقدرتها الفائقة على النفاذ إلى الوجدان والتأثير فيه .

أعلام النساء / عمر رضا كحالة

إننى قاتلة ومقتولة

يا ابنة الأقوامِ ، إنْ شئتِ فلا
تعجلى باللوم ، حتَّى تسألى
فإذا أنتِ تَبَيَّنْتِ الذى
يوجبُ اللومَ فلومى واعْذلى
إنْ تكن أختُ امرئ ليمت على
شفَقٍ منها عليهِ فافعلى
جلَّ عندى فعلُ جساسٍ ، فيا
حسرتى عمّا انجلت أو تنجلى

فـعلُ جـسـاسٍ ، على وجْـدِى به
قـاصمٌ ظهـرى ومُـدْنٍ أجلى
يا قـتـيـلاً قَـوَّض الدهر به
سـقف بَيْـتَىَّ جـمـيـعًـا من علِ
هدَّم البـيتَ الذى اسْـتَـحْـدَثْتُـه
وانْـثَـنَـى فـى هـدْمِ بـيـتـى الأول
يا نـسـائى دونكنَّ اليـوم ، قـد
خـصَّنى الدهر برزْءٍ مُـعْـضِلِ
خـصَّنى قـتـلُ كليبٍ بلظى
من ورائى، ولظى من أسـفـل
ليس من يبكى ليـومـيْـه كـمن
إنما يبكى ليـومٍ مُـقـبـلِ
يشـتـفى المدْرِكُ بالثـأر، وفى
دَرك ثأرى ثُـكْـلٌ لـلـمُـثـكـل
إننى قـاتـلةٌ مـقـتـولة
ولـعـلَّ الـلـه أن يـرتـاح لـى!

- لغتنا الجميلة : فاروق شوشة (مكتبة الأسرة ١٩٩٩ م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة (١٩٩٩ م) .

قالت

للشاعر صفى الدين الحلى

فى عهد الصبا تفتحت شاعريته ، وفى ذلك يقول الدكتور شوقى ضيف :

كان الغلمان من لداته يتدربون على ركوب الخيل فحاكاهم فى هذا التدرب ، وأحس فى نفسه ميلاً شديداً إلى الشعر فأكب على حفظ نصوصه العباسية والإسلامية والجاهلية مما جعله فيما بعد يعنى بتضمين كثير من هذه النصوص فى شعره وبعض موشحاته ، ويبدو أن موهبته الشعرية استيقظت فيه مبكرة ؛ إذ يقول فى المقدمة التى صنعها لديوانه :

« إنى كنت قبل أن أشب عن الطوق ، وأعلم ما دواعى الشوق ، لهجًا بالشعر نظمًا وحفظًا ، متقنًا علومه معنى ولفظًا » .

وهو يقصد بالعلوم علوم العربية وعلوم البيان والمعانى والبديع . من هنا كانت عنايته بالكلمة ؛ رسول المعنى والشعور، ومثلما كان سحر الطبيعة وجمال الرياض والبساتين تأخذ بمجامع قلبه كانت لغته الشاعرة لا تقل بهاءً وروعة ، وكيف لا وهو القائل :

إنما الحـــيزبون والدردبيس والطَّخا والنُّقَاخ والعلطبيس
لغــة تنفــر المســامع منهــا حين تُرْوَى وتَشمئزُّ النفوس
وقبيح أن يُذْكَرَ النافرُ الوحـ ـشيُّ منهــا ويُتْــرَكَ المأنوس
أين قولى : هذا كثيب قديم ومقالى : عَقَنْقَلٌ قُدْ مُوس
خلِّ للأصمعى جوب الفيافى فى نِشَافٍ تخف فيه الرءوس
إنما هذه القلوبُ حـــديدٌ ولذيذ الألفاظ مغناطيس

وعلى مر العصور كان لهذا الاتجاه اللغوى مناصروه ومؤيدوه وحملة مشاعله ، ولعلنا نتذكر فى هذا السياق شاعرنا محمد مصطفى حمام الذى ينهل من المعين نفسه فهو القائل ساخرًا :

بالقعصليات أم بالعفصليات وبالعرانيج أم بالخشرفيات
يا دهر هل من فخاشيش منككة تبأبى الرفل إلا فى الطرارات
أستغفر الله أفغاتى مدعشرة وفى الشناتير إسكاح الهبلات
وربما بغصتنى وهى قرعبة واضطر عطت هى فى دنيا العتلات
قل للطفاطيف إن الصعب جاوزهم يا للطفاطيف من ماض ومن آت

إطلالة على صاحب التجربة

- عبد العزيز بن سرايا الحِلِّى الطائى ، شاعر عصره .
- ولد بالحلة القريبة من الكوفة عام ١٢٧٨ م لأسرة على شيء

من اليسار وسعة الحال ، فكان طبيعيًّا أن تلحقه بكتَّاب يتعلم فيه القراءة وحفظ القرآن الكريم وبعض الأشعار .

- اشتغل بالتجارة فكان يرحل إلى الشام ومصر وماردين وغيرها فى تجارته ويعود إلى العراق ، وانقطع مدة إلى أصحاب ماردين فتقرب من ملوك الدولة الأُرْتُقِيَّة ومدحهم وأجزلوا له عطاياهم .

- رحل إلى القاهرة عام ٧٢٦ من الهجرة فمدح السلطان الملك الناصر .

- له ديوان شعر مطبوع ، وله رسالة فى الزجل والموالى بعنوان « العاطل الحالى »، ومن مؤلفاته أيضًا : « درر النحور » وهى قصائده المعروفة بالأُرْتُقِيَّات، و« الأغلاطى » وهو معجم للأغلاط اللغوية ، و « صفوة الشعراء وخلاصة البلغاء »، و« الخدمة الجليلة » وهى رسالة فى وصف الصيد بالبندق .

- للشيخ على الحزين المتوفى سنة ١١٨١ م كتاب يحمل عنوان : « أخبار صفى الدين الحلى ونوادر أشعاره » . وتوفى ببغداد عام ١٣٤٩ م .

قالوا عن صاحب التجربة

عبد العزيز بن سرايا ... صفى الدين، ولد فى شهر ربيع الآخر سنة ٦٧٧هـ ، وتعانى الأدب فمهر فى فنون الشعر كلها ، وتعلم المعانى والبيان وصنف فيها ، وتعانى التجارة فكان يرحل إلى الشام ومصر وماردين وغيرها فى التجارة ، ثم يرجع إلى بلاده ، وفى غضون ذلك يمدح الملوك والأعيان ، وانقطع مدة إلى ملوك ماردين ، وله فى مدائحهم الغرر ، وامتدح الناصر محمد قلاوون ، والمؤيد إسماعيل بحماة ، وكان يتهم بالرفض وفى شعره ما يشعر به ، وكان مع ذلك يتنصل بلسان قاله، وهو فى أشعاره موجود وإن كان فيها ما يناقض ذلك ، وأول ما دخل القاهرة سنة بضع وعشرين فمدح علاء الدين ابن الأثير فأقبل عليه وأوصله إلى السلطان ، واجتمع بابن سيد الناس وأبى حيان وفضلاء ذلك العصر فاعترفوا بفضائله ، وكان الصدر شمس الدين عبد اللطيف يعتقد أنه ما نظم الشعر أحد مثله مطلقًا ، وديوان شعره مشهور يشتمل على فنون كثيرة وبديعيته مشهورة وكذا شرحها.

ابن حجر العسقلانى

فى الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة

هو الإمام العلاَّمة البليغ المفوه ، الناظم الناثر ، شاعر عصرنا على الإطلاق ، حنفى الدين الطائى السبنسى الحلى ، شاعر أصبح به راجح الحلى ناقصًا ، وكان سابقًا فعاد على كعبه ناكصًا ، أجاد القصائد المطولة والمقاطيع ، وأتى بما أخجل زهر النجوم فى السماء، فما قدر زهر الأرض فى الربيع ، تطربك ألفاظه المصقولة، ومعانيه المعسولة ، ومقاصده التى كأنها سهام راشقة وسيوف مسلولة .

محمد بن شاكر الكتبى
فى فوات الوفيات

أضواء على التجربة

لعلها أشهر محاورة فى ديوان العرب قديمه وحديثه ، فقد اجتمعت لها عناصر التأثير الدرامى فى الحوار الشعرى ، وعلى رأسها بلاغة الإيجاز فى سؤال الحبيبة وإجابة الحبيب .

محاورة

قالت : كحَلتَ الجفونَ بالوَسَنِ ! قلتُ: ارتقـاباً لطَيـفكِ الحَسن!

قـالت : تسلَّيتَ بعـدَ فُـرقـتنا ! فقلت: عن مَسكَنى وعن سكَنى!

قالت : تشاغلتَ عن محَبَّتنا ! قلتُ: بفَـرط البكاءِ والحـزَن!

قالت : تناسيت، قلتُ: عافيَتى! قالت: تَناحيتَ، قلت: عن وطنى!

قـالت: تَخَلَّيتَ، قلت: عن جلَدى! قـالت: تَغَيَّرتَ، قلت: فى بدنى!

قالت: أَذَعتَ الأسرارَ؛ قلت لها: صـيَّـر سِـرِّى هواكِ كـالعلن!

قالت: سررتَ الأعداء؛ قلت لها: ذلك شىء لو شـئت لم يكن!

قـالت: فـماذا تروم؟ قلت لهـا: ساعـة سعـد بالقُرب تُسعِدُنى!

قـالت: فـعينُ الرقـيب تَنظرُنا ؛ قلـت: فـإنّى لـلعين لـم أبن؛

أنحلتنِى بالصـدودِ منكِ، فلو تَرَصَّـدَتْنى المَنونُ لم ترَنى!

- من روائع الشعر العربى : خليفة محمد التليس ، الدار العربية للكتاب – ليبيا – تونس ، الطبعة الثانية (١٩٨٥ م) .

نكبة الأندلس

أبو البقاء الرُّندى

لا يكاد يذكر شاعرنا إلا وتقترن به هذه التجربة التى أفرزت قصيدة هى عصارة الأسى والمرارة لما حل بديار الإسلام فى بقعة من بقاع الأرض كانت تزهو بنوره الوضاء الذى أحال ظلامها الدامس نهاراً لا ينكر ضياءه إلا جاحد .

لقد عاش أبو البقاء فى عصر الفتنة الكبرى التى اضطرمت بالأندلس فى أواسط القرن السابع الهجرى ، والتى تمخض عنها سقوط الحكم الإسلامى هناك فى أيدى النصارى وانحساره فى مملكة غرناطة ؛ فكانت قصيدته النونية المشهورة فى رثاء الأندلس، التى تلقفها الناس جيلاً بعد جيل على كثرة تصانيفه فى أغراض أخر .

وشعر أبى البقاء –كما قيل – سهل المأخذ ، عذب اللفظ ، رائق المعنى ، غير مؤثر للجزالة ، وهو يتنوع بين المدح والغزل والوصف والشكوى ورثاء المدن .

إطلالة على صاحب التجربة

هو أبو الطيب صالح بن يزيد بن صالح النِّفرى ، ويكنى أيضًا بأبى البقاء الرندى ، وهى الكنية الأكثر شهرة له ، شاعر وأديب أندلسى مجيد .

ولد أبو البقاء فى رندة، وهى بلدة أندلسية تقع غربى مالقة عام (٦٠١ هـ = ١٢٠٤ م) وتلقى مبادئ العلوم عن أبيه ، ثم تنقل بين مدن الأندلس الكبيرة ليأخذ عن شيوخها .

ففى إشبيلية درس النحو والأدب والقراءات على أبى الحسن الدبَّاج المتوفى سنة (٦٤٦ هـ = ١٢٤٨ م) ، وكذلك تلمذ لأبى القاسم بن الجد .

وفى مالقة أخذ عن ابن الفخار الشَّريشى محمد بن عبدالرحمن. أما فى غرناطة فقد أخذ عن ابن قطرال وأبى الحسن بن زرقون المتوفى سنة (٦٢٢هـ= ١٢٢٥ م) .

وقد ظل طيلة حياته متنقلاً بين هذه المدن وغيرها من مدن مملكة غرناطة ، غير أن أكثر تردده كان على عاصمة المملكة يمدح ملوكها وأمراءها ، وخاصة مؤسسها الغالب بالله محمد بن يوسف المعروف بابن الأحمر المتوفى سنة (٦٧٢ هـ = ١٢٧٣م)؛ حيث كان من المقربين إليه .

ولا يعرف على وجه الدقة أين قضى أبو البقاء الرندى آخر

حياته ، وقد تُوفِّى سنة (٦٨٤ هـ= ١٢٨٥ م) .

قالوا عن صاحب التجربة

« كان خاتم الأدباء بالأندلس ، بارع التصرف فى منظوم الكلام ومنثوره ، فقيهًا حافظًا ، فرضيًّا (أى : عالمًا بالمواريث) متفننًا فى معارف شتى » .

محمد بن محمد بن عبد الملك
فى كتابه الذيل والتكملة لكتابى
الموصول والصلة

أضواء على التجربة

عندما نزل « محمد الغالب » سلطان غرناطة عن عدد كبير من القواعد والحصون الأندلسية لملك قشتالة سنة (٦٦٥ هـ= ١٢٦٦ م) كان ذلك إيذانًا بسقوط الحلم الأندلسى، وكان ذلك محركًا لأبى البقاء لكى ينشئ قصيدته النونية المشهورة التى تعد من أجمل ما قيل فى رثاء المدن والممالك فى الشعر العربى .

مخطئ من يظن أنها بكائية على الأطلال ، ذلك أنها درس لمن أراد اعتباراً وخطاب للغافلين السكارى .

نكبة الأندلس

أبو البقاء الرُّندى

لكلِّ شيء إذا ما تمَّ نُقصانُ ... فلا يُغَرُّ بطيبِ العيش إنْسانُ

هى الأمورُ كما شاهدْتَها دوَلٌ ... من سرَّه زمنٌ ساءَتْه أزمانُ

وهذه الدَّارُ لا تُبقى على أحدٍ ... ولا يدومُ على حَالٍ لهَا شانُ

يمزِّق الدَّهرُ حتمًا كُلَّ سابغةٍ ... إذا نبَتْ مشرْفياتٌ وخُرصانُ

وينْتضى كُلَّ سيفٍ للفَناء ولو ... كان ابن ذى يزنٍ والغمدُ غمدانُ

أين الملوكُ ذَوو التِّيجان من يَمَنٍ ... وأين منْهم أكاليلٌ وتيجَانُ

وأين ما شَاده شدَّادُ فى إرمٍ ... وأين ما سَاسَه فى الفرس ساسانُ

وأينَ ما حَازه قارُون مِنْ ذهبٍ ... وأين عادٌ وشدَّادٌ وقحْطانُ

أتى على الكلِّ أمرٌ لا مردَّ له ... حتَّى قضوا فكأنَّ القومَ ما كانوا

وصارَ ما كان من مُلكٍ ومن مَلكٍ ... كما حكى عن خَيال الطَّيف وسْنانُ

دارَ الزَّمانُ على دَارا وقَاتلهُ ... وأمَّ كِسْرى فمَا آواه إيوانُ

كأنَّما الصَّعبُ لم يسهُل لهُ سبَبٌ ... يومًا ولا مَلك الدُّنيا سُليْمانُ

فجائعُ الدهرِ أنواعٌ منوَّعةٌ ... وللزمانِ مَسرَّاتٌ وأحزانُ

وللحوادث سُلوانٌ يُسهِّلها ... ومَا لِما حلَّ بالإسلامِ سُلوانُ

دَهى الجزيرةَ أمرٌ لا عزاء له ... هَوى له أُحدٌ وانهدَّ ثهلانُ

أصابها العين فى الإسلام فارْتزأت ... حتَّى خَلتْ منه أقْطارٌ وبُلدانُ

فاسأل بلنسيةً ما شأنُ مُرسية ... وأين شاطبةٌ أم أين جيَّانُ
وأين قرطبةٌ دارُ العُلوم فَكم ... من عَالِم قَد سمَا فيها له شانُ
وأين حمصٌ وما تحْويه من نُزَهٍ ... ونهرُها العذبُ فيَّاضٌ ومِلآن
قواعد كُنَّ أركانَ البِلادِ فما ... عَسى البَقاءُ إذا لم تبْقَ أركانُ
تبكي الحنيفية البيضاء من أسفٍ ... كما بَكى لِفراق الإلفِ هيمَانُ
عَلى ديارٍ من الإسْلام خاليةٍ ... قدْ أقْفرت ولهَا بالكُفْر عُمْرانُ
حيث المساجد قد أضحت كنائس ما ... فيهنَّ إلا نَواقيسٌ وصُلْبانُ
حتى المحاريبُ تبْكي وهي جامدةٌ ... حتَّى المنابرُ ترثي وَهْيَ عِيدانُ

***

يا غافلاً وله في الدَّهر موْعظةٌ ... إن كنت في سِنَةٍ فالدَّهرُ يقْظانُ
وماشيًا مرحًا يلهيه مَوْطِنُه ... أبَعْدَ حمص تغُرُّ المرءَ أوطانُ
تلك المصيبةُ أنستْ ما تَقدَّمها ... ومَا لها مع طُولِ الدَّهر نسْيانُ

***

يا راكبين عِتاقَ الخيل ضَامرةً ... كأنها في مجال السَّبق عِقْبانُ
وحاملين سُيوف الهِنْد مرهَفةً ... كأنَّها في ظَلام النَّقع نيرانُ
وراتعين وَراء البحْرِ في دعَة ... لهُم بأوطانهم عِزٌّ وسُلطَانُ
أعِنْدكم نبأٌ من أهلِ أندلُس ... فقد سرَى بحديث القومِ رُكبانُ
كم يستغيثُ بنا المُسْتضعفونَ وهُم ... قتْلى وأسرى فَما يهتزُّ إنسانُ

مـاذا التـقـاطعُ فى الإسـلام بيْنكمُ وأنـتـمُ يا عـــبـــادَ اللهِ إخـــوانُ
ألا نُفـــوسٌ أبيَّـــاتٌ لهـــا هِممٌ أمـا على الخَـيْـرِ أنْصـارٌ وأعْـوانُ

***

يا مَنْ لِذلَّة قـــوْمٍ بعْـــدَ عِـــزِّهمُ أحـال حَـالهم جُـورٌ وطغـيـانُ
بالأمس كَـانوا مُلوكًـا فى مَنازلهم واليـوم هم فى بلاد الضـدِّ عبْـدانُ
فلو تراهم حـــيـــارى لا دَليلَ لهم عليـــهـمُ من ثيـــاب الذُّلِّ ألْوانُ
ولَو رأيتَ بُكاهُم عِند بيْـــعـــهـمُ لهَـالَك الأمرُ واسْـتـهـوتكَ أحْـزانُ
يا رُبَّ أمٍّ وطِفْل حـيل بينهُـمـا كـــمـــا تفـــرّقُ أرواحٌ وأبْدانُ
وطفلةٍ مثل حسنِ الشمس إذ طلعَت كـأنَّـمـا هى ياقـوتٌ ومـرْجـانُ
يقـودُها العِلْجُ للمكروهِ مُكْرهةً والعينُ باكـيـةٌ والقلبُ حَـيْـرانُ
لمثل هذا يذوبُ القلبُ من كَمدٍ إن كـان فى القلب إسـلامٌ وإيمانُ

***

- من روائع الشعر العربى : خليفة محمد التليس ، الدار العربية للكتاب – ليبيا – تونس ، الطبعة الثانية (١٩٨٥ م)

أختى

للشاعر صالح الشرنوبى

صاحب التجربة : قسماته فى أبياته ، ملامحه تنطق بها مفردات معجمه الشعرى ، فمدادها من دمه وروحه ، وكيف لا وهو القائل :

أنا فى شعرى وشعرى قصتى لست فى جسمى ولا فى رسمه
بين كفيك وجودى خافقًا وفؤادى غارقًا فى دمه
ويح لى منه ويا ويح له ولمن يسبح فى عيلمه
ربما أحزننى فى فرحتى وشدوت اللحن فى مأتمه

إطلالة على صاحب التجربة

- فى السادس والعشرين من مايو سنة ١٩٢٤ ولد شاعرنا ببلطيم بمركز البرلس بمحافظة كفر الشيخ ، وفى السابع عشر من سبتمبر سنة ١٩٥١ غربت شمسه فى ضحاها، رحل عنا وهو فى ريعان شبابه .

- درس فى المعاهد الدينية حتى حصل على الثانوية الأزهرية ، كان يطمح إلى الالتحاق بكلية دار العلوم لكنه لم يوفق إلى ذلك فلم يتم دراسته العالية .

- أنشد دواوينه فى الفترة ما بين عامى ١٩٤٤ ، ١٩٥١ م ، وهى : « أصداف الشاطئ : عبرات . . سبحات . . بسمات » ، « الأمواج » ، « نسمات وأعاصير » « فى موكب الحرمان » ، « وطنيات » ، « أقاصيص فى الحب والحياة » « أشعار ورسوم » ، « ظلال وألوان » ، « مع الريح » .

قالوا عن صاحب التجربة

- لو عاش صالح لبذَّ شوقى . . أى لفاق شوقى .

عباس محمود العقاد

- عندما يؤرَّخ للشعر العربى المعاصر سيوضع صالح على الشرنوبى فى مقدمة مرتاديه ، ولن يكون صغر سنه بين الرواد إلا دليلاً على صدق موهبته . لقد عاش لا يربط نفسه الطموح بأثقال حياة معينة ، لكنه كان مؤمنًا بالشعر من حيث هو رسالة ، ومن حيث هو أداة تفريج عن كرب طالما لاحقته ، وما من عمل اضطر إلى تولِّيه – بحكم الظروف – إلا وجعله على الهامش من مسئولياته المعيشية .

كان إنسانًا فذًّا ، وكان فنانًا لا يشغل نفسه بأكثر من أنه

يريد أن يقول ، وسيقول برغم كل شيء ، وسيسمع الناس منه اليوم أو غداً .

الدكتور أحمد كمال زكى

- فى شهر مايو من كل عام تتجدد ذكرى صالح الشرنوبى ، حاملة عبق أنفاسه الشعرية ، وعبقريته المُبكرة ، باحثة عن آثاره الشعرية والنثرية فى ذاكرة هذا الجيل الذى شغل بالقطيعة عن التواصل ، وبأورام الذات عن إبداع الآخرين ، وباللدد فى الخصومة عن رحابة الأفق والوعى المستنير . لكن أمثال الشرنوبى – كما قال عنه الفيتورى – فوق الموت . فوق النسيان والذكريات .

الشاعر فاروق شوشة

فى كتابه زمن للشعر والشعراء

أضواء على التجربة

كانت لشاعرنا أخت جميلة بيد أنها بلهاء ، وقل فى تاريخ ديوان العرب أن تقع هذه المصادفة ، وأن تبدع درة من درر الإبداع الشعرى ليكتب لها الخلود جزاء تفرد التجربة وشاعرية صاحبها .

« أختى هيام » عنوان القصيدة

وإليها إهداء مبدعها :

« إلى بلهائى العزيزة ، فى صمتها المسحور »

أختى [1]

أختى قصيدةُ شاعرٍ غَزِل أُختى تميمةُ ساحرِ الخَبَل [2]
أختى هيام .. وأنت من أَملى لأَنا الحزين عليك يا أُختى

***

لأنا الحزينُ وإن طَغَى فرحى وسكرْتُ مِنْ صَحْبى ومن قَدَحى
حتَّى أُحسّ كهَمْسَةِ الشَّبح وأَرَاك ماثلة على قُرْب
فيفيض نبْعُ البشرِ فى قلبى
وأَرى دُعَابَ الصَّحْبِ من ذنبى

وأَعيشُ فى دُنْياك يا أُختى

كم مرّة أَغْرقْتِ فى الضَّحكْ من غَيْرِ ما داعٍ إلى ضحكِ
فأَروح أَهتِفُ أين مُضْحِكُك؟ أَهو الزمانُ وجدُّه لعب
أَم طائفٌ بالغيبِ مُحْتَجب
أَم إنَّها الأَحداثُ والنُّوَب
ولكم يُسلِّى الحزنُ يا أُختى !

***

(١) عنوان القصيدة فى الديوان «أختى هيام» .

(٢) التميمة : ما يُعلق فى العُنُق لدفع العين ، ج تمائم ، والخَبَل فساد العقل وذهاب الفؤاد .

أم أنَّه عـــقلُ المجـــانين ؟ شـــيطانهُ شـــيخُ الشـــياطين
وبـذكْـــــرهِ تحلـو أَرانيـنى وبريحـــه تســـرِى تلاَحِـــينى[١]
وبفَنِّه تسْـــمُـــو أَفـانينىَ[٢]
يا ليـــتَـــهُ يومًـــا يناديـنى
لأَغـــيبَ عن دنيـــاى يا أُخـــتى

***

ولقـد أَلُمُّ بوجْـهك القـمـرى فـأتيـهُ فى ديمومـة الفكرِ[٣]
وجـهٌ كـوجـهِ إلهـة الخـفـر إِطـراقـــــةٌ لُفَّت بإِطـراقِ[٤]
أَو فكـرةٌ فى ذهـن خـــــلاَّق

---

(١) أرانين : جمع إرنان ، وهو صوت الشهيق عند البكاء ، وكان الأولى أن يجمع إرنان جمع مؤنث سالم فيقول : إرنانات، لأن الخماسى الذى لم يُسمع له فى اللغة جمع تكسير، يجمع قياسًا جمع مؤنث سالم، إذ إن جمع التكسير حينئذٍ ليس له قوة جمع المؤنث السالم. والتلاحين : جمع تلحين بمعنى الغناء، وهو مصدر تخصَّص بالإضافة ، ولذا يفيد أن التلحين متنوِّع الأشكال متعددها ومن هنا يجوز جمعه وتثنيته. أما المصدر الذى لا يجوز جمعه فهو المصدر المحض الذى يفيد مجرد الحدث ولم يُخصَّص بإضافة أو بوصف إلى آخره .

(٢) أفانين : جمع أفنون ، وهو الغصن الملتف ، والنوع من الفن .

(٣) الديمومة والديموم : الفلاة الواسعة . ج دياميم ، والديمومة بمعنى الدوام فى دَوَم .

(٤) الإطراقة : ميل الرأس إلى الصدر مع سكوت الإنسان فلا يتكلم .

أَو خَـفْـقَـةٌ فى قلب مُـشتـاق
أَو دَمْـــعـــة تبـكيـكِ يا أُخْـــتى

***

أَو زهرةٌ صُـــوفـــيّـــةُ الطِّيبِ نامت على مَفْرِقِ محبوبِ[1]
أَو آهةٌ فـى صـــــدرِ مكروبِ أَو نَسْـمـةٌ فى جَـوْفِ إِعصـارِ
تشْـقى بما تصـــلاهُ من نار
وسـلامـهـا فى كفِّ جـبّـار
كـــســـلامِ روحُكِ أَنتِ يا أُخـــتى

***

وتقـــول أُمِّى حين تلْقـــاكِ يا ليْتَ قلْبى مـــا تمنَّاكِ
أو ليت مهـدكِ كـان مثْـواكِ لـك فـى بـنـاتِ الحىِّ أَتـرابُ
عِـــرْسَـــانُـهُنَّ لهُنَّ أَحـبـــابُ
فـــأَقـــول والمقـــدور غـــلاَّب
الحظُّ خـــــانَكِ أَنت يا أُخـــــتى

***

وإِذا الطبـيـبُ وصـحـبُـه تاهوا قـــالت أصـــابَ الجنُّ مـــرمـــاهُ

(١) المفرق من الرأس : حيث يفرق الشعر، ومن الطريق : الموضع الذى يتشعب منه طريق آخر . جمعه : مفارق .

وهيـام باتَتْ من ضـحـاياهُ قالت ... وقلتُ أُفلسف العُذْرا
الجنُّ مـأْمُـورٌ قـد ائْتَـمَـرَا
والله فكرٌ حـيَّـر الـفكرا
وأَذلّهـا بـالغـيب يـا أُخـتى

***

وإذا الْكرى نادى الخليِّـينَا فـأَجـبْـتـه وهجـرت نادينا
قـالوا نَأَى مَنْ كـان يسلينا فـأَقـولُ بَلْ مَنْ كـان يُبْكينا
ويحـيلُ أَحْنَانَا كـقـاسـينا
ويُثـيـرُ فى نفسى البـراكـينا
وأَظلُّ أَبخس منـك يـا أُخـتى

***

ولو انَّنى طامنتُ من كَـمَـدى لرأَيتُ غَـيَّك آية الرُّشْـد
وعـرفت فـيكِ شـقـيـقـة الأَبَدِ أَشبـهتـه صمْتًا وإِعْجَامَا[1]
وشَـأْوتِه عـمـقًـا وإِبهـامـا[2]
وإذا أَنَـارَ ازْدادَ إِظْـلامـا
وإِذا أَنَـرْتِ دَجَـوتِ يا أُخـتى

***

(١) الإعجام في الكلام : إبهامه وذهابه به إلى العجمة .
(٢) شأوته : سبقته ، من شأوت القوم أشأوهم شأوا : سبقتهم .

قاسٍ عليك أنا ، فلا تُغضى إمَّا قسوتُ فَلَيْسَ من بُغْض
أَنا فى السَّماءِ وأَنْتِ فى الأَرْضِ أَنا فى سماءٍ من خَيَالاتى
أَحْيَا بِفِكْرِى وانْفعالاتى
فانْأَى بأَرْضِك عن سماواتى
تنْأَ القساوة عنك يا أُختى

***

« دَيْنُ » الوُجُودِ وَفَاؤه العَدَمُ والماءُ سرُّ وجوده الضَّرمُ[1]
واللُّغزُ حين يَبينُ ينْبَهمُ وأَرى الحياة وبدؤها الأَجل !
واليأسُ أول خلْقه الأَملُ
والعقلُ ينقص حين يكتمِل
ومن الجنونِ العقْلُ يا أُختى

***

أُختى قصيدة شاعرٍ غزل أُختى تميمة ساحر الخبل
أُختى هيام .. وأَنت من أملى لأَنا الحزين عليك يا أَختى

• ديوان صالح الشرنوبى : تحقيق د. عبد الحى دياب ، دار الكاتب العربى – القاهرة (١٩٦٦ م) .

(١) الضرم : الاتقاد والاشتعال ، من ضرمت النار تضرم ضرمًا : اتقدت واشتعلت .

خمس وعشرون عاماً

للشاعر صلاح الشرنوبى

أضواء على التجربة

رأينا من الشعراء من ساءه أن يذكَّر بيوم ميلاده كشاعرنا على الجندى، وفيه يقول:

لا تذكروا لى يوم ميلادى ... إنى ولدت بيوم إحداد
فى يوم نحسٍ شمسه كسفت ... وعدا الخسوف على ابنها الهادى
والسعد حُجِّب عن كواكبه ... والشؤم فى آفاقه بادى

ومنهم من حمل على هذا اليوم لأنه يدق ناقوس الأسى لرحيل الصبا والشباب كشاعرنا كامل الشناوى، وفيه يقول:

عدت يايوم مولدى ... عدت يا أيها الشقى
الصبا ضاع من يدى ... وغزا الشيب مفرقى
ليت يا يوم مولدى ... كنت يومًا بلا غدِ

لكننا لم نر شاعراً كشاعرنا صالح الشرنوبى يقف عند هذا اليوم الذى يؤذن بانقضاء ربع قرن من عمر شاعر وكأنه يؤذن بانقضاء الأجل، فلا يتخذ منه سبيلاً إلى الشكوى فحسب ، ولا إلى استشعار دنو الأجل فحسب، بل إلى رثاء النفس فى عنفوان الشباب، ولا يقف عند هذا الحد، بل يُضمِّن حصاد هذه التجربة الفريدة وصيته بما ينبغى أن يكون بعد الرحيل، أرأيتم تفرداً يسمو على هذا التفرد؟!

خمس وعشرون عاماً

« ٢٦ مايو سنة ١٩٢٤ »

« ٢٦ مايو سنة ١٩٤٩ »

خمسٌ وعشرون عامًا مرّت سَحَابًا جهَاما(١)
فما زرعنَ صفاءً ولا حصدْن سلاما
وما زرعن سوى اليأْ سِ ناضرا بسّاما(٢)
ولا حصدْن سِوى العمر أنجمًا تترامى (٣)

يدور رأسى إذا ما حسبتها أيّاما!
وأفقد العقل إمّا حسبتها أحلاما
مشيتُ فيها على الشَّوْ ك لا أملُّ اعتزاما
أُكافح الحقدَ.. والحا قدين.. والأوهاما
واليأْسَ.. والبؤسَ.. والهمّ... الأسى.. والأنَاما
وأجْبَهُ الدهر فرداً ذا مِرّة .. مقداما(٤)
أسْقى المنايا منايا من همّتى.. وسِماما (٥)

(١) الجهَام : السّحاب لا ماء فيه.

(٢) النَّاضِر : الحسَنُ المُشرق ذو البريق الصّافِى.

(٣) الأنجم : والنِّجام ، والنُّجوم: جمع نَجم، أحد الأجرام السماوية المضيئة بذاتها.

(٤) المرة : القوّة، والعقل أو شدّتُه، والأصالة والإحكام، ج: مرٌّ، وأمْرار.

(٥) السِّمام، السُّمُوم: جمع سُمّ، كُل مادّة سامّة.

وكُلَّمـــــا راش دهـرى سهـمـا .. بريت سِهـامـا
وكلَّمـا اعـوجَّ رُمْـحِى قـوَّمـتـه .. فـاسـتـقـامـا
لا يعـرف الخـوفَ قلبى ولا أَهـاب انـهـزامـا

ولا أُبـالى جـرى الحظُّ (م) مُـدبـراً أَم أَقـامـا
مـادام عـزمى جليـداً على الزَّمـان .. همـامـا (١)
ومِلْءُ ثوبى من الصّـيـدِ أَرْوَعٌ .. لا يُسـامَى (٢)
حـلـبـتُ دَهْـرِى وحـظـى فـمـا بللت أُوَامـا ! (٣)
ولا اصـطـنـعـتُ خُـلُـوداً ولا ادّخَـرْتُ حطامـا

***

خـمس وعـشـرون عـامـا ذابت جـوًى وسـقـامـا (٤)
تـهـوى عـلـى أُمِّ رأْسى حِـجـارة ورِجَـامـا ! (٥)
كـأَنما تـرجُمُ النُّـو ر فـيـه .. والأَنغـامـا
وتـلـتظى فى حـيـاتى سحبًا تفيض ضرامـا (٦)
لـم أَدْر فـيـمَ تولَّـت وكـيـفـمـا ... وإِلى مَـا

---

(١) جَليد : قويّ صابرٌ على المكروه.
(٢) الأَرْوَع : الذكيّ الفؤاد المعجب بحسنه وشجاعته، ج : روع.
(٣) الأوام : حرارة العطش، يقال فى جوفه أوَامٌ وأوار.. والأوام كذلك : الدُّوار.
(٤) الجوى : ضيق الصدر من داءٍ لا يكاد يُبين عنه اللسان، وهو أيضًا اشتداد الوجْد من العشق أو الحزن.
(٥) الرجام : جمع رَجْمة، وهى حجارة تنصب على القبر.
(٦) تلتظى : تلتهب وتتوقد، والضِّرام : الاتقاد والاشتعال.

وســـــوف أَبلغ حـــــينى كـــمـــا بلغت الفطامـــا[1]
والجـــــهلُ آخـــــر علـمى وإن دُعـــــيتُ الإِمَـــامَـــا

***

ســـــئـــــمتُ ذاتى وظلّى وصَـبْـوَتِى .. والغـرامـا[2]
وصـــار أَقـــصى أَمـــانىّ (م) أَن أَذوق الحِـــمـــامـــا[3]
وبات عـــيـــشى على الأَر ض مـــحَـنـةً وغـــرامـــا
سـئـمت حـتى التـمنِّى! والدّمع والإِبتـســـامـــا
والأَرض والسَّـــاكنيـــهـــا والأُفق .. والأَجـــرامـــا
والحـسن والعـاشـقـيـه والزهر .. والأَنســـامـــا
والشـعـــر .. والفكر .. والفنّ ... والهـوى والهـيـامـا
والليل يشـــبـــه حظِّى والنور يحكى الظلامـــا
فلست أَطلب شـــيـــئًـــا مـهـمـا دنا .. أَو تسامى
ومـــــا أُريـد حـــــلالاً من المُنى .. أَو حـــرامـــا
حـسـبى وفـوق مُـرادى ألا أُطيل المُـقَـــامـــا
وأَن أَرى لحـــيـــاتـى نِهـايةً .. وخـتـامـا

***

يـاربّ لازلت حـــيًّـــا أُصـــارع الأَيّامـــا
أَطْفـو على السطح .. ظِلاًّ من السكون مـقـامـا

---

(١) الحين : الهلاك.
(٢) الصّبوة : الميل للّهو، أو الحنين والتشوّق إلى الحبيب، ج : صَبَوات.
(٣) الحمام : الموت.

وأسكنُ القـــاع روحًـــا معـذَّبا مُسْتـهـامـا(١)
لا يرحم السَّطح ضـعـفى ولا يقـينى انْحطامـا(٢)
ولا أَرى لى فـى الْقـــــا ع مضـجـعًا.. أَو مناما(٣)
ولى من الأرض قـبْـرٌ سـيـحـتـوينى رِمـامـا(٤)
لابـدّ مـنـه .. وإن طـا ل بى المقـام ودامـا
ياربّ.. فـاقض على شِـقـو تِى وهـبْنى الـسـلامـا
وفى يـديك زِمـامـى فـلا تمدّ الزِّمـامـا. !!(٥)

***

ويارفـاق حـيـاتى وصـفـوتى .. والنَّدامى
دنا الرحـيـل .. فـلا تقـ ـطعوا لعـهـدى ذِمـامـا(٦)
وإن جـزعت .. فـلا تُسْـ ـرفـوا علىَّ مَـلامَـا(٧)
وإن مـضـيتُ فـلا تذ رفوا الدموعَ السِّجاما (٨)
خـفُّـوا إلى حـمل نعـشى وأَلبـسـونى القـتـامـا
وأشـبـعـونى وداعًـا وحطّمـوا الأَقْـلامـا

---

(١) مُستهامًا : هَائمًا.
(٢) انحطامًا : تكسُّرا وتهشُّمًا.
(٣) المضْجَع : موضع الضّجوع ، والضُّجوع : وضْع الجنْب على الأرض أو نحوها.
(٤) الرِّمام: جمع رِمّة، وهى العظام البالية.
(٥) الزِّمام : الخيط الذى يشد فى البُرة أو فى الخشاش ثم يُشد إلى طرف المقوَد ، ج : أزِمّة.
(٦) الذّمام : العهد والأمان والكفالة، والحق والحُرْمة، ج : أذمّة.
(٧) المَلام : العذْل والعتْب، ج : ملاوم.
(٨) السّجام : الكثير.

وتـوِّجُـــوا بـالأَقَـــاحى جـبَّـانتى .. والخُـزامى(١)
واســتــغــفــروا لى فَــيــا طَالما اقْــتــرفتُ الأَثامــا
ولـم أُرَاقـبْ لجـــهـلـى الواحـــد العـــلامـــا

***

فـــإن مـــررتم بقـــبـــرى مـــسلِّمين لِمَامَـــا !(٣)
فلم أَحـــيىّ صـــديقًـــا ولـم أَردّ ســـلامـــا
فـــلا تقـــولوا طواه الْبِلَى رحـــيـــقًـــا وَجَـــامَـــا
فـــربّمـــا كـــان مـــوتى بعثًا .. وصـمـتى كـلامـا
وربما صـــار جـــســـمى تحت الرّغـــام رغـــامـــا(٣)
وذبـتُ فـى الـطِّين طـيـنًـا فـمـا أُريد انْقِـسَـامَـا
وإن جـــعـلت الدّيـاجى كـأْسًـا .. وصَـمْـتِى مـداما
فـــلا تثـــيـــروا ظُـنُونًا ولا تـديروا اتِّـهـــامـــا
وودِّعـــونى خـــفـــافًـــا كـمـا أَتيـتم.. كـرامـا
ولا تزيـدوا زحـــام القُـــبـــورِ حـــولى زحـــامـــا
ولا تـقـــولـوا فـــقـــدنَا هُ فى الخطوب حـســامـا
أو مـات .. لم يقضِ حـقًّـا ولـم يـبلغْ مَـــرامـــا
فـــحـــسبُ حىٍّ شـــقـــاءً خـمـس وعـشـرون عـامـا

---

(١) الخُزَامى : عُشبة طويلة العيدان . طيبة الريح، فيها نوْرٌ كنَورِ البنفسج، وليس فى الزهر أطيب ريحًا منه .
(٢) اللّمام : اللقاء اليسير. (٣) الرِّغَام : التراب .

الشاعر المعلم

للشاعر إبراهيم طوقان

كثير من الأدباء جنحوا إلى التعليم حرفة وعملاً ، وبعض المعلمين جذبهم عبير الأدب إلى دوحته ، فلا ندرى إن كان دافع هؤلاء الإيمانُ برسالة التعليم أو الحاجةُ إلى التكسب والقوت أو كلاهما معًا ، أو أن أولئك قد أدركتهم حرفة الأدب بدافع الفطرة الفنية .

وأيًّا كان الأمر فلا عجب بعد ذلك أن يلقب هذا بالأديب المعلم وذاك بالمعلم الأديب .

قالوا عن صاحب التجربة

إذا قرأت شعر إبراهيم تجلت لك نفسه فى حقيقتها ، لا يحجبها عنك حجاب؛ ذلك أنه كان ينظر نظرًا دقيقًا فى جوانب تلك النفس ، ثم يصور ما يعتلج فيها من عواطف وخلجات ، كأصدق ما يكون التصوير .

ومما كان يعينه على البراعة والصدق فى التعبير علم غزير

بفنون الكلام وأساليبه ، وهذا العلم كان نتيجة لاطلاعه الواسع على المآثر الأدبية الرفيعة من قديمه وحديثه ، إلى جانب القرآن الكريم والحديث الشريف .

شقيقته : الشاعرة فدوى طوقان

تعددت نواحى النبوغ فى شخصية إبراهيم طوقان ، فمثلما كان شاعراً مطبوعًا ومحققًا باحثًا كذلك كان أديبًا موهوبًا .

الناقد الأدبى : الدكتور زكى المحاسنى

أضواء على التجربة

كان شاعرنا مؤمنًا بأن كلاً ميسر لما خلق له ، وبأن طموحه ينبغى أن يقوده إلى وجهة أخرى غير التى يصبو إليها أترابه .

« معلم ، معلم ، معلم » ، تلك هى الكلمة التى كان يسمعها تتردد على شفاههم يوم توزيع شهادات التخرج ، فيقول لنفسه :

أبعد هذا العناء والكد يختار هؤلاء التعليم مهنة ؟ ألا ساء ما يفعلون ! ما أقصر مدى طموحهم !

كان صاحبنا يطمح إلى العمل فى ميدان الصحافة ، فهى

مهنة تلائم ذوقه وترضى طموحه ، ولكن أين؟! ليس فى فلسطين حيث ولد ، ولا فى لبنان حيث تخرج ، وإنما إلى القاهرة عاصمة أرض الكنانة كان يرنو شاعرنا ، وناهيك بالقاهرة من مدينة فنٍّ وأدبٍ وجمال . ولكن ليس كل ما يتمنى المرء يدركه .

لقد كُتب على شاعرنا أن يبدأ عمله باحتراف التعليم فى بلده بعد أن طال شوقه إلى الصحافة ومتاعبها ، فقد برم بالتعطل والبقاء فى عيال أبيه الميسور ؛ إذ كان يؤثر اكتساب العيش بجد وحق ، فرضى أن يصبح معلماً للناشئة فى مدرسة النجاح الوطنية ببلدته نابلس .

على أنه لا يصح أن يفسر إحجام إبراهيم فى بادئ الأمر عن احتراف التعليم بأنه عدم إقرار بقيمة العلم ، وإنما الحق أن طموح إبراهيم إلى مهنة الصحافة كان دافعه إلى اتخاذ هذا الموقف الذى أسفر عن قصيدة تنضح طرافةً لا تملها الأسماع، فقد تركت لنا صورة لمعاناة المعلم، وتستمد طرافتها من مقابلتها ومعارضتها لقصيدتى المتنبى وشوقى .

فلم يكن أبو الطيب يدرى أن قصيدته الحماسيَّة التى وصف فيها البطل ابن عمار وعراكه للأسد سوف يعجب بها شاعر خالد مثله هو شوقى الذى جاء بعد ألف عام، ونظر بعين التقدير إلى

المعلم فقال فيه قصيدته الشهيرة فى تكريم المعلم والتى يقول فى مطلعها :

قم للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا

لقد مجَّد شوقى المعلم وكرم التعليم والقائمين به، حتى كاد يشتهى هذه المهنة كل متعلم .

ثم يجىء شاعرنا إبراهيم طوقان ليعارض شوقى وهو من الشعراء المعاصرين صاحب المكان الأثير فى قلب إبراهيم .

الشاعر المعلم

(شوقى) يقول – وما درى بمصيبتى –

« قم للمعلم وفّه التبجيلا »

اقعد ، فديتك ، هل يكون مبجلاً

من كان للنشء الصغار خليلا ..

ويكاد (يقلقنى) الأمير بقوله :

كاد المعلم أن يكون رسولا ..!

لو جرّب التعليم (شوقى) ساعة

لقضى الحياة شقاوة وخمولا

حـسب المعلم غـمَّـة وكـآبة
مـرأى (الدفـاتر) بكرة وأصـيـلا
مـئـة على مـئـة إذا هى صلِّحت
وجد العمى نحو العيون سبيلا
ولو انّ فى « التصليح » نفعًا يرتجى
وأبيك ، لـم أكُ بالعـيـون بخـيـلا
لكـنْ أصلّح غـلطةً نـحـــويةً
مثـلاً ، وأتخذ « الكتـاب » دليلا
مـسـتـشـهـداً بـالغـرّ من آياته
أو « بالحديث » مفصلاً تفصيلا
وأغوص فى الشعر القديم فأنتقى
مـا ليس ملتـبـسًـا ولا مـبـذولاً
وأكاد أبعث (سيبويه) من البلى
وذويه من أهل القـــرون الأولى
فـأرى (حـمـاراً) بعد ذلك كلّه
رَفعَ المضـاف إليـه والمفـعـولا !!

لا تعجبوا إن صحتُ يومًا صيحة

ووقعت ما بين « البنوك » قتيلا

يا من يريد الإنتحار وجدته

إنَّ المعلم لا يعيش طويلا !

- **ديوان إبراهيم طوقان :**

دار العودة – بيروت (١٩٨٨م)

تفاؤل وأمل

إبراهيم طوقان

أضواء على التجربة

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجرى على اليبس

يحضرنى هذا البيت كلما رأيت غلوًّا فى التشدق بالوطنية من دون عمل يجسدها أو واقع يؤكدها، فهى شعور صادق تترجمه الأفعال قبل أن تعبر عنه الأقوال.

فإذا اعترى الروح الوطنية داء الوهن راجت سوق الدجالين من محترفى الوطنية الزائفة .. فى مثل هذه الأجواء كانت تجربة شاعر الكفاح والحرية إبراهيم طوقان التى تحمل عنوان «تفاؤل وأمل» وقد ألقاها فى حفل أقامته كلية النجاح الوطنية فى نابلس فى نهاية العام الدراسى ١٩٢٨م.

تفاؤل وأمل

كَـفْكِفْ دموعك ، ليس ينفعك البكاءُ ولا العويلُ
وانهضْ ولا تشكُ الزمانَ، فما شكا إلا الكسولُ
واسلكْ بهمَّتكَ السَّبيلَ، ولا تقل كيف السَّبيلُ
ما ضَلَّ ذو أملٍ سَعى يومًا وحكمتُه الدَّليلُ
كلاَّ، ولا خاب امرؤٌ يومًا ومقصِدُه نبيلُ

أفنيْتَ يا مسكينُ عمرَك بالتَّأوُّهِ والحزَنْ
وقعدتَ مكتوفَ اليديْن تقولُ: حاربنى الزَّمنْ
ما لمْ تقمْ بالعبء أنتَ، فمَنْ يقوم به إذن؟

كم قلتَ : «أمراض البلاد» وأنتَ من أمراضها
والشؤمُ علّتُها : فهلْ فتَّشتَ عن أعراضها
يا مَنْ حَمَلْتَ الفأْسَ تهدمها على أنْقاضِها
أُقعدْ فما أنتَ الذى يسْعى إلى إنهاضها
وانظر بعينيْك الذئاب تعُبُّ فى أحواضها

وطنٌ يُبـاعُ ويُشـترى وتصـيحُ: «فليحى الوطنْ»؟!
لو كنت تبغى خيْرَهُ لبذلتَ من دمك الثمنْ
ولقمتَ تَضْمِدُ جرحَهُ لو كنتَ من أهلِ الفطنْ

أضحى التشاؤُمُ فى حديثك بالغريزَةِ والسَّليقةْ
مثل الغراب، نَعى الدّيارَ وأَسْمَعَ الدّنيا نعيقَهْ
تلكَ الحقيقةُ، والمريضُ القلبِ تجرُحهُ الحقيقةْ
أَملٌ يلوحُ بريقُه فَاستَهْدِ يا هذا بَريقَهْ

ما ضاق عيْشُك لو سعيتَ له، ولوْ لمْ تشْكُ ضيقَهْ
لكنْ تَوَهَّمتَ السقامَ، فأسقمَ الوهْمُ البدنْ
وظننْتَ أَنَّكَ قَدْ وَهَنتَ فَدَبَّ فِى العظم الوهنْ
والمرءُ يُرهِبُهُ الرَّدى ما دام ينظرُ للكفنْ

اللَّهَ ثم اللَّهَ ما أحلى التَّضامنَ والوفاقا!
بوركْتَ مَؤْتمرًا تألَّفَ لا نزاعَ ولا شقاقا(١)
كم مِنْ فؤادٍ راقَ فيه، ولم يكن مِنْ قبلُ راقا
اليومَ يشربُ موطنى كأسَ الهناء لكم دهاقا
لا تعبئوا بمشاغبين ترَونَ أوْجهَهم صِفاقا

(١) عقد فى تلك السنة مؤتمر «عربى عام» فى القدس الشريف.

لا بُدَّ من فِـئـةٍ – أُجِلُّكُمُ – تَلَذُّ لها الفتَنْ
تلك النفوسُ منَ الطُّفولةِ أُرْضِعَتْ ذاكَ اللَّبنْ
نَشأت على حُبِّ الخِصامِ، وبات يَرْعاها الضَّغَنْ
لا تَحْفِلوا بالمرْجِفينَ، فإنَّ مَطْيَهم حقيرُ
حُبُّ الظهورِ على ظهور الناسِ منْشَؤُه الغرورُ
مالمْ يكنْ فَضْلٌ يَزينُك فالظُّهورُ هو الفجورُ
سيروا بعينِ اللَّه؛ أنتم ذلكَ الأملُ الكبيرُ
سيروا فقدْ صَفَت الصُّدور؛ تباركَتْ تلكَ الصُّدورُ

سيروا فَسُنَّتكُمْ لخيرِ بلادكُمْ خَيْرُ السُّنَنْ
شدُّوا المودَّة والتآلفَ والتَّفاؤُلَ فى قَرَنْ
لا خوْفَ إنْ قامَ البِناءُ على الفضيلةِ وارتكنْ

حيِّ الشبابَ وقُلْ سلامًا إنَّكُمْ أَملُ الغَدِ
صَحَّتْ عزائمكُمْ على دفْعِ الأثيمِ المعتدى
واللَّهُ مَدَّ لكُمْ يَدًا تَعْلو على أقوى يدِ
وطنى أزُفُّ لكَ الشَّبابَ كأنَّهُ الزَّهرُ النَّدى
لا بُدَّ من ثمرٍ لهُ يَوْمًا وإنْ لمْ يَعْقِدِ

ريحانُهُ العلمُ الصَّحيحُ، وروحُهُ الخلقُ الحسنْ
وطني، وإنَّ القَلْبَ يا وَطني بِحبِّكَ مرْتَهنْ
لا يَطمَئنُ؛ فإنْ ظَفِرْتَ بما يريدُ لكَ اطمأنْ

● **ديوان إبراهيم طوقان**

دار العودة – بيروت : (١٩٨٨م)

«أب»

للشاعر عمر بهاء الدين الأميري

هو – كما قيل عنه – شاعر الأبوة الحانية ، والبنوة البارَّة .. وهذه التجربة هى ثمرة من ثمار شعره فى الأبوة على مدى ثلاثين عامًا .. عنوانها هو عنوان ديوانه فى هذا اللون من الإبداع الشعرى، وهو يضم عشر قصائد استلهمها شاعرنا – كما يقول – فى مقدمة ديوانه :

من مشاعر أب نحو بنيه
بين الأمل ... والألم ...
فى السراء ... وفى الضراء ...
بين أُنس ... وانقباض ...
فى صفاء ... وبأساء ...
فى رخاء ... ولأواء ...
قلب « أب » « أب » ...
يترنم .. يتألم .. يتكلم ...

نحن إذًا بإزاء شاعر يفيض رقةً وحنوًّا فى التعبير عن مشاعر الأبوة الصادقة فى قالب شعرى أخاذ ، ولندعه يصف ديوانه :

هذا الديوان

ألوان .. وألوان

ألحان إيمان وإحسان ..

إرنان أشجان وحنان ..

عطاء مفن أو « فنان » ..

أبوة شاعر ...

عصارة مشاعر ...

بوح إنسان .. إنسان ..

لا زمان له .. ولا مكان ..

إطلالة على صاحب التجربة

- ولد الشاعر عمر بهاء الدين الأميرى عام ١٣٣٦ هـ فى أسرة من كرائم الأسر الحلبية ، وكان والده محمد بهاء الدين الأميرى نائب حلب فى مجلس المبعوثان العثمانى ، وكانت والدته سامية الجندلية ابنة حسن رضا رئيس محكمة الاستئناف فى حلب .

- أتم الشاعر دراسته فى حلب ، ثم درس الأدب وفقه اللغة فى جامعة السوربون بباريس ، ودرس الحقوق فى الجامعة السورية

بدمشق .

- درس علوم الاجتماع والنفس والأخلاق والتاريخ والحضارة فى حلب ودمشق ، وتولى إدارة المعهد العربى الإسلامى بدمشق.
- مارس مهنة المحاماة ردحًا من الزمن ، وشارك فى بعض مؤتمرات المحامين العرب .
- عمل فى السلك السياسى عدة سنوات ، فمثل سورية وزيراً وسفيراً فى باكستان عام ١٩٥٠ م ، وفى المملكة العربية السعودية عام ١٩٥٤ م .
- عمل أستاذًا زائرًا فى العديد من الجامعات العربية، وأستاذًا محاضراً فى المواسم الثقافية الجامعية والإسلامية .

قالوا عن صاحب التجربة

لقد شدَّ الشاعر عمر بهاء الدين الأميرى فى ديوانه « أب » إلى قيثارة الشعر العربى المعاصر وتراً جديداً ، وعزف عليه لحن الأبوة الخالدة ملء قلبه وحناياه ؛ إذ أفضى بخبىء قلبه نحو أولاده ، ورسم لهم أجمل المشاهد وأروع اللوحات الفنية ، وصاغ لهم من

عالم القيم والمثل درر النصائح ، وعرض ذلك كله بأسلوب رشيق عذب أليف وديع ، فكان بحق رائد شعر الأبوة فى العصر الحديث، وكان ديوانه « أب » درة فى جبين الشعر العربى .

الدكتور محمد على الهاشمى
أستاذ الأدب العربى فى كلية اللغة العربية بجامعة
الإمام محمد بن سعود الإسلامية فى الرياض

أضواء على التجربة

لله در القائل فى وصف مشاعر الأبوة الحانية :

وإنما أولادنا أكبادنا تمشى على الأرض
لو هبت الريح على واحد لامتنعت عينى من الغمض

ويتواصل القديم والحديث تعبيراً عن العواطف الإنسانية التى لا تحدها حدود الزمان والمكان ، ويجىء شاعرنا ليبدع هذه القصيدة التى تعد من عيون الشعر الإنسانى، يسجل فى أبياتها شعوره المتدفق نحو أبنائه ..

ها نحن أمام قلب أب يتكلم فلا نسمع منه إلا الحب والرحمة والرضا والسماحة والحنان ، إنه يصور مشهد أولاده الصاخب الضاج بالحركة والحياة والانطلاق والمرح فى مصيف

قرنايل بلبنان، ثم يصور رحيلهم ووقع هذا الرحيل فى نفسه حانًّا إلى ضجيجهم وشغبهم وتشاكسهم وتشاكيهم ، ويرى فى هذه المتعبات المغضبات للآباء شيئًا حبيبًا إلى نفسه ، مؤنسًا لها . .

« أب »

أين الضجيج العذب والشغب؟ أين التدارس شابه اللعب؟
أين الطفولة فى توقدها؟ أين الدمى فى الأرض والكتب؟
أين التشاكس دونما غرض؟ أين التشاكى ما له سبب؟

***

بالأمس كانوا ملء منزلنا واليوم – ويح اليوم – قد ذهبوا
وكأنما الصمت الذى هبطت أثقاله فى الدار إذ غربوا
إغفاءة المحموم ، هدأتها فيه يشيع الهم والتعب
ذهبوا أجل ذهبوا ومسكنهم فى القلب ما شطوا وما قربوا

***

إنى أراهم حيثما اتجهت عينى كأسراب القطا سربوا
بالأمس فى « قرنايل » نزلوا واليوم قد ضمتهمُ حلب
فنشيدهم « بابا » إذا فرحوا ووعيدهم « بابا » إذا غضبوا
وهتافهم « بابا » إذا ابتعدوا ونجيهم « بابا » إذا اقتربوا

***

دمعى الذى كتمته جلداً لما تباكوا عندما ركبوا
حتى إذا ساروا وقد نزعوا من أضلعى قلباً بهم يجب
ألفيتنى كالطفل عاطفة فإذا به كالغيث ينسكب

***

قد يعجب العذال من رجل يبكى ولو لم أبك فالعجب
هيهات ما كل البكا خور إنى، وبى عزم الرجال، أب

لص فى منزل شاعر

للشاعر عبد الله البردونى

هو شاعر عميق الإحساس بوطنه ، إبداعه الشعرى مرآة صادقة تبصر من خلالها آلامَ شعبه وآماله، ولعل إخلاصه لقضايا بلده كان مطيته إلى ذروة سنام التألق والإجادة فى عالم القريض ، ليصير بحق شاعر اليمن .

وعندما سئل عن السر فى كون الوطن محوراً لإبداعه الشعرى قال شاعرنا عبد الله البردونى :

« كل إنسان له هم يعتبر أن الإنسانية لا تتجزأ ، إلا أن الإنسان اليمنى أقرب إلىَّ ، فأنا أعرف أكثر مواجعه ، وسبب ضياعه البيتى ، وتسيبه الوظيفى ، وتكدر معيشته ، فالتركيز على الإنسان اليمنى معناه أن هناك قريباً وأقرب » .

إطلالة على صاحب التجربة

- هو عبد الله صالح عبد الله الشحف البردونى .
- ولد عام ١٩٢٩ م فى قرية البردُّون – الحدأ – بمحافظة ذمار باليمن ، أصيب فى طفولته بالجدرى مما أفقده بصره .

- تعلم النحو والصرف والبلاغة وأصول الدين والتجويد على بعض المشايخ ، ثم درس بدار العلوم فى صنعاء ، وحصل على ليسانس فى اللغة العربية والفقه .

- عين أستاذاً بدار العلوم فى صنعاء عام ١٩٥٣ م ، وتفرغ للعمل الإذاعى منذ عام ١٩٦٢ م ، وصار مديراً للإذاعة عام ١٩٦٩ م ، ثم أبعد عن منصبه بعد عام .

- بدأ كتابة الشعر عام ١٩٤٩ م ، وكان ينشر قصائده فى الصحف المحلية ، ومجلة « القلم الجديد » الأردنية .

- دواوينه الشعرية : من أرض بلقيس ١٩٦١ م ، فى طريق الفجر ١٩٦٧ م ، مدينة الغد ١٩٧٠ م ، لعينى أم بلقيس ١٩٧٢ م، السفر إلى الأيام الخضر ١٩٧٤ م ، وجوه دخانية فى مرايا الليل ١٩٧٧ م ، زمان بلا نوعية ١٩٧٩ م ، ترجمة رملية لأعراس الغبار ١٩٨١ م ، كائنات الشوق الآخر ١٩٨٧ م ، رواغ المصابيح ١٩٨٩ م ، جوَّاب العصور ١٩٩١ م .

- من مؤلفاته : رحلة فى الشعر اليمنى ، قضايا يمنية ، فنون الأدب الشعبى فى اليمن ، اليمن الجمهورى ، الثقافة والثورة فى اليمن من أول قصيدة إلى آخر طلقة.

- حصل على وسام الآداب والفنون من عدن ١٩٨٢م، وصنعاء ١٩٨٤ م ، كما أصدرت اليونسكو عملة فضية تكريمية تحمل صورة البردونى عام ١٩٨١ م.

قالوا عن صاحب التجربة

«إن البردونى لم يكن شاعر اليمن؛ لأنه عكس هموم بلده ، وتصدى للحكام الفاسدين فقط . بل كان كذلك بشاعرية لها وهجها الكبير وإنجازاتها الملموسة .

فليس سهلاً أن يخرج البردونى من ركام الشعر التقليدى فى اليمن ، وله فى هذا البلد ركائز ثقيلة وراسخة . وإذا بهذا البصير يشحن الشكل الكلاسيكى بالصورة الجديدة واللغة الشعبية والحوار والقصة والموضوع الحى الصادق بعيداً عن المواضعات العابرة ، فراح الشعب يستمع إلى قصيدة عذبة تنعش العقل والقلب برحابة آفاقهما .

الكاتب الصحفى : بياز الصفدى

وكما حدث أن مال بعض الشعراء إلى التعبير عن الرؤية الرومانسية من خلال النسق المعاصر ، وجدنا أن بعض الشعراء

الذين يكتبون الشعر العمودى يدخلون – بقوة – فى رحاب الفلسفة الواقعية . ومن أولئك الشعراء – على سبيل المثال – الشاعر اليمنى الكبير عبد الله البردونى ، الذى أصدر عشرة دواوين تقريبًا .. وهو يكتب بالطريقة العمودية ، ولكن شعره – من حيث الموقف والمضمون وأدوات التشكيل – شديد المعاصرة ، وملتزم فكريًّا وجماليًّا ببعض ما طرأ على الشعر من تطور وتجديد .

الدكتور طه وادى

ويسوق الدكتور طه وادى مثالاً على هذه الحقيقة– قصيدته التى تحمل عنوان «الغزو من الداخل»، والتى يقول فيها :

فظيع جهل ما يجرى ... وأفظع منه أن تدرى
وهل تدرين يا «صنعا» ... مَن المستعمر السرى؟
غزاة لا أشاهدهم ... وسيف الغزو فى صدرى
فقد يأتون تبغًا فى ... سجائر لونها يغرى
وفى أهداب أنثى فى ... مناديل الهوى القهرى
وفى سروال أستاذٍ ... وتحت عمامة المقرى
وفى أقراص منع الحمل ... فى أنبوبة الحبر
وفى حرية الغثيان ... فى عبثية العمر
وفى عود احتلال الأمس ... فى تشكيله العصرى

ويستخفون فى جلدى وينسلون من شعرى
وفوق وجوههم وجهى وتحت خيولهم ظهرى
غزاة اليوم كالطاعون يَخْفَى وهو يستشرى
يحجر مولد الآتى يوشى الحاضر المزرى
فظيع جهل ما يجرى وأفظع منه أن تدرى

أضواء على التجربة

هى إحدى تجارب ديوانه مدينة الغد الذى صدر فى عام ١٩٧٠ ، أما التجربة فيعود تاريخها إلى نوفمبر عام ١٩٦٦ ، عنوانها لص فى منزل شاعر ، وما عسى أن يجد لص فى منزل شاعر سوى الفراغ ، وهرة بائسة ، ولهاث صعلوك رقيق الحال، لكنه ينعم بين أضلعه بما لا ينعم به ملوك المال ، وصدق شاعرنا على الجندى حين قال :

لو كان يدرى ملوك المال لذتنا ودوا – بفقد الغنى – لو أنهم شعروا
ما البيت شادوه من طين ومن حجر كالبيت شادته من أقباسها الفكر
ولا رياضُهمُ تبهى أزاهرها كروضة الشعر يندى زهرها العطر
يفنى الذى تركوه من ذخائرهم وما تركنا – على الأيام – مدَّخر

لص فى منزل شاعر

شكـرًا دخلـتَ بـلا إثـارةْ وبلا طفـور أو غـرارةْ
لما أغـرتَ خنقتَ فى رجليكَ ضوضاءَ الإغارةْ
لم تسلب الطينَ السكونَ ولم تَرُعْ نومَ الحجارةْ
كالطيف جئتَ بلا خُطًى وبلا صدًى وبلا إشارةْ
أرأيتَ هذا البيت قَز مًا لا يكلفكَ المهارةْ ؟
فأتيتَهُ ترجو الغنا ئمَ ، وَهْوَ أعرى من مغارةْ

***

ماذا وجدتَ سوى الفراغ وهرةً تشْتَمُّ فارةْ
ولهاثَ صعلوكِ الحروفِ يصوغ من دمه العبارةْ
يطفى التوقدَ باللظى ينسى المرارة بالمرارةْ
لم يُبْقِ فى كوب الأسى شيئًا ، حساه إلى القرارةْ
ماذا ؟ أتلقى عند صعْلو ك البيوت غِنى الإمارةْ
يا لصُّ ، عفوًا إن رجعت بدون ربحٍ أو خسارةْ
لم تَلْق إلا خيبةً ونسيت صندوق السجارةْ
شكرًا ، أتنوى أن تشـ ـرِّفنَا بتكرار الزيارةْ ؟

- الشعر العربى المعاصر روائعه ومداخله : د. الطاهر أحمد مكى، دار المعارف بمصر، القاهرة، الطبعة الثالثة (١٩٨١م).

بين الرجل والطريق

للشاعر عبد الله البردونى

أضواء على التجربة

قل أن نجد تجربة للبردونى لا تفيض بمرارة الواقع، وما من غرض من أغراض إبداعه الشعرى إلا ويقودك إلى الباعث السياسى على الأسى، وقصيده فى هذا المضمار يستطيع بصيغة الرمز أو التصريح بالسبب والمسبب، تراها فى عيون «الآتين من الأزمة» ورحلة «صنعانى يبحث عن صنعاء»، وتستاف أريجها من عبير «وردة من دم المتنبى».

وهنا بين الرجل والطريق – وهى إحدى تجارب ديوانه وجوه دخانية فى مرايا الليل– علائق غريبة الملامح والقسمات لكنها تنضح بآلام الطامح إلى الإصلاح حين يرى آماله سر آلامه، فهو يحمل مشعل الهداية لمن يعشق الغواية، ويجود بنفسه فداء لمن لايريد الحياة.

بين الرجل والطريق

كان رأسى فى يدى مثل اللفافة ... وأنا أمشى كباعات الصحافة
وأنادى: يامرات، إلى ... أين تنجرُّ طوابير السخافة؟
يابراميل القمامة، إلى ... أين تمضين؟ إلى دور الثقافة
كل برميل إلى الدور..؟ نعم ... وإلى المقهى؟ جواسيس الخلافة
ثم ماذا..؟ ورصيف مثقل ... برصيف يحسَب الصمت حصافة

ها هنا قصف هنا يهمى دم ... ربما سمَّوهُ توريد اللطافة
ما الذى؟ من أطلق النار ؟ سدى ... زادت النيران والقتلى كثافة
وزحام السوق يشتد بلا ... نظرة عجلى بلا أى انعطافة
لم يعد للقتل وقع؟ ربما ... لم تعد للشارع الداوى رهافة
لا فضول يرتئى لا خبر ... خيفة كالأمن أمن كالمخافة

ما الذى؟ موت بموت يلتقى ... فوق موتى من رأى فى ذا طرافة؟
نهض الموتى هوى من لم يمت ... كالنعاس الموت ؟ لا شيء خرافة
يا عشايا ياهنا ياريح من ... يشترى رأسى بحلقوم (الزرافة)؟
بين رجلى وطريقى جثتى ... بين كفى وفمى عنف المسافة
المحال الآن يبدو غيرُه ... كذبت (عرافة) (الجوف) العرافة
هاهنا ألقى حطامى؟ حسنًا ... ربما تلفتُ عمال النظافة
ربما تسألنى مكنسة ما أنا ... أو تزدرى هذى الإضافة

●من ديوان وجوه دخانية فى مرايا الليل.
● الشعر العربى المعاصر روائعه ومداخله : الطاهر أحمد مكى
دار المعارف القاهرة – الطبعة الثالثة (١٩٨١م)

إلى صديقى النشال الظريف

على الجندى

لا يعيب الشعراء سعيهم إلى إنصاف أنفسهم فى زمن عز فيه الإنصاف ، وفى سبيلهم إلى ذلك تنجلى الشوائب عن الجوهر النفيس، لكى يدرك من لم يدرك أقدار هؤلاء بين الأنام ، فللشاعر فى المجتمع السوى قدر لو تعلمون عظيم . ألم يقل أبو تمام :

ولولا خلال سنها الشعر ما درى بناة العلا من أين تؤتى المكارم

وشاعرنا يرى ملكة الإبداع الشعرى من أعظم نعم الله عليه ، فهو القائل فى مناجاته وابتهاله :

وعندى لك الآلاء كالذر كثرة تطول على المحصى، وتعى المعدِّدا
فمنها –وليس الزهو طبعى– قدرتى على أن أصوغ الشعر درًّا منضَّدا
أقر بعجزى عن وفائى بشكرها ولو أننى أفنيت عمرى تعبُّدا

ولله دره من مُنْزِل للشعر أرقى المنازل ، وهو يخاطبه معبراً عن امتنانه لعطائه الفياض :

قريضى لا عدمتك من قريض فأنت منحتنى أسنى المعالى
وقد أمطيتنى متن الثريا وقد بلغتنى رتب الكمال
وأنت على سهام الدهر درعى وأنت على الخصاصة رأس مالى
حمدتك -صاحبى- فى كل شأنى وأنت حمدتنى فى كل حالى
يعز الشعر فى رجل عزيز ويصغر فى الذليل من الرجال

***

وليس أدل على براعة شاعرنا فى توظيف ثقافته التراثية الأصيلة لتواكب قريحته الشعرية الصافية القادرة على الإقناع والتأثير العصرى ، من قول الدكتور شوقى ضيف :

يوقِّع شاعرنا ترانيمه وألحانه على أوتار قيثارتنا الشعرية الموروثة عن الآباء والأسلاف ، والتى تهزنا وتروعنا بما تقدمه لنا من غذاء للعقول ، وشفاء للقلوب والنفوس، لا لأنها تراث الآباء والأسلاف فحسب ، ولكن لأنها أيضًا تحمل رحيقًا موسيقيًّا صافيًا يلذ الآذان كما يلذ الأفئدة ، فتصغى إليه منتشية بألحانه وأنغامه.

إطلالة على صاحب التجربة

- ولد بمحافظة سوهاج بجمهورية مصر العربية عام ١٨٩٨ م .

- تخرج فى كلية دار العلوم، واشتغل بالتدريس، وأصبح عميداً لكلية دار العلوم.
- من دواوينه :

أغاريد السحر ، ألحان الأصيل ، ترانيم الليل ، فى ظلال القمر.

- نال ديوانه الأول جائزة المجمع اللغوى فى القاهرة .
- وتوفى فى القاهرة عام ١٩٧٣ م .

قالوا عن صاحب التجربة

« شعره رصين غنى بالنغم والموسيقى ، برىء من التكلف والغموض ويصلح شعره للاستشهاد به فى كل مناسبة » .

الشاعر عبد الله السيد شرف

« ديوانه (ترانيم الليل) ضخم ثرى، يمتاز – كما امتاز ديواناه السابقان (أغاريد السحر وألحان الأصيل) – بجزالة الصياغة

ورصانتها ومتانتها وقوتها . وقد تجرى السهولة المفرطة فى بعض جوانب صياغته ، ولكن يظل الرونق لا يفارقها ، وتلازمها العذوبة والسلاسة، وسواء أكانت الصياغة جزلة فخمة أو سلسة عذبة ، فإنها تظل مستقيمة التراكيب صحيحة التعبير ، فلا نبوَّ ولا شذوذ، ولا خروج على مقومات اللغة وأوضاعها ، بل استواء مطرد أحكمته يراعة صناع تعرف معرفة دقيقة حقوق الصياغة العربية المحكمة » .

الدكتور شوقى ضيف

أضواء على التجربة

- « لص فى منزل شاعر » كانت تجربة فريدة لشاعر اليمن الكبير عبد الله البردونى خرج منها اللص صفر اليدين خالى الوفاض وعاد – كما يقولون – بخفى حنين ، وليس النشال هنا فى تجربة شاعرنا على الجندى بأسعد حظًّا من اللص فى تجربة البردونى، غير أنه أضاف إلى خيبة رجائه ضرباً من ضروب الظرف والفكاهة ، ترى ماذا حدث ؟!

- يروى شاعرنا ما حدث فيقول :

- عدا بعض النشالين على جيبى ، فلم يجد غير أوراق تضره ولا تنفعه ، فردها إلىَّ بطريق البريد المسجل مأجوراً مشكوراً مذكوراً ، مصحوبة برسالة رقيقة ختمها بقوله : وإلى اللقاء .
- فما كان من شاعرنا إلا أن صاغ رده فى أبيات خالدة .

إلى صديقي النشال الظريف ! !

لَهفي عليك !! ولَوْعتي الحَرَّى !! ودُموعُ عين ماتَني عَبْرَى!![1]
يا صادراً عنِّي بحسرته ما أَنتَ أَوَّلُ مَن بيَ اغْتَرّا
خدعتْك شَيْبتَي التي سطَعتْ – قبلَ الأوان – بمَفْرِقي فَجْرا
فحسِبْتها من فِضة سُبِكتْ شَعَراتُها أو خِلْتَها تِبرا
وثيابيَ اللاَّتي بها سُحِرتْ عيناكَ تَطْوي تحتَها الفقرا
راقتْك كالأَزهار زاهيةً من فوق مَيْتٍ وُسِّدَ القبرا
لو أنها باحتْ بما كتَمتْ أَشْفقتَ من أن تلمسَ الجمرا
وعَرفتَ كيف يَضِيمُ ذا كَرمٍ صَرْفُ الزمان، ويَهْضِم الحُرّا
ورأَيتَ رأيَ العين ما فعلت أَحداثهُ بسلائل «الزَّهْرا»[2]
يَمْشي بها يختال ذو صَيَدٍ مُتَجَمِّلٌ لا يَشْتَكي الضُّرّا[3]
فيظنه «قارونَ» جاهلُهُ ورَصيدُه ما جاوزَ الصِّفرا
ما حَسْبُه الأَموالُ يَملكُها بل حَسْبُه أَن يَمْلكَ «السَّتْرا»
إن لم يَسُدْ – والدهرُ ذو غِيَرٍ – فجُدودهُ سادوا الورَى طُرّا
ابن «المُعزِّ» أَعزَّ مَنْ مَلكوا في المَشْرقين!! المجدَ والفخرا[4]

---

(١) عبرى : سخينة .
(٢) الزهراء : فاطمة البتول – عليها السلام –
(٣) الصيد كسيب : المراد به الكبر .
(٤) المعز : المعز لدين الله الفاطمي مؤسس الدولة الفاطمية، وباني القاهرة والأزهر ، والناظم من سلائله .

أَبناءُ « فـاطمـةٍ » إذا ذُكِـرُوا نفحَ الوجـودُ بذكـرهم عِطْرا

***

النَّشلُ مـشْنوءٌ ورُبَّتَـمـا مارسْتَ هذا النشلَ مُضطرّا[١]
كم خَـيِّـرٍ أَغْـرتْه ضـائقَـةٌ بالشـرّ حـتى قـارفَ الشـرا
لولا التُّقى والنبلُ يَعْـصِـمُنى قد كنتُ منك بفعله أَحْرَى
ما ذا دهاك فَرُحْتَ مُنْتجِـعًا جَيْبًا على الإفلاس قد زُرَّا[٢]
بينَ النُّقـــود وبينَه لَـدَدٌ وعـداوةٌ تَسْتوعب الدهرا[٣]
أنت الأَريبُ تُحـيط فطنتـهُ « بالحافظات » وما حَوتْ خُبْرا
ويُدير عَـيْنًا فى فـرائسـه سِرُّ الجيوب يُرَى بها جَـهْرا
وله يَـدٌ ترتـدُّ ظـافـرةً إنْ أَنْشَـبَتْ فى غـافلٍ ظُفـرا
هلاَّ سـقطتَ على أَخِى جـدَة مُسْتَحْقِب أوراقَه « الخُضْرا »[٤]
إِياكَ أَن تسطو – تَرِبْتَ يداً – ببنى القريض فَتَجْتَنِى الخُسْرا[٥]
ملكوا البحورَ وحظُّ مالكها مِمّا بها أَن يَشْرَبَ البَحرا!!
لو كان يُغْنِى الشِّعرُ من عَدَمٍ لَوَهَبتُ مُخْتارًا لك الشعرا

***

(١) مشنوء : مكروه .
(٢) زر بالبناء للمجهول : شد .
(٣) اللدد : شدة الخصومة .
(٤) الأوراق الخضر : أوراق البنكنوت .
(٥) تربت يداك : دعاء عليه بالفقر .

فـغَـدَوْتَ للـيـاقـوت مُـقْـتنيًـا ... وَحَـــــوَتْ يدَاك الماسَ والدُّرا
وملـكـتَ فى الأوهـام مـملـكـةً ... عزَّت على «خـاقان» أَو «كـسرى»[٦]
آلاف أَبـيـــات لو انـتـــثَـــرت ... فى الأُفْقِ كـانت أَنْجُـمـا زُهْرا
مـن كـلِّ بـيـتٍ راقَ مَـنْـظَـرُه ... حـتَّى يُـظَن لحـسنه قَـصـــرا
أأخى وكل مـصـيـبـة عظمت ... ستـهـون إن تَقْرنْ بهـا الصبرا
سلِّم لمحـتـوم القـضـاء ولا ... تحـفـل بما قـد سـاء أو سـرَّا
واغـفـر لجـيـبى مـارزئت به ... من خيبة ، وابسط له العذرا
لله نَـذْرٌ إن مـلـكـت عـلـى ... كرِّ الليالى «البيض» والصفرا
وبدت جيوبى بالذى حملت ... من «بنكنوت» حُـفَّـلاً بجـرا
أنـى أسـيـر بلا مـحـاذرة ... لا أتـقـى «نـذلاً» ولا «طـرًّا»
فـتنال مـا تبـغى بلا تعب ... وتعـود بين البـشـر والبـشـرى
وإليك شكرًا لا انـقـضـاء له ... إن كـان يَرْضَى مثلك الشكرا
وإلى اللقـاء فَـرُبَّ مـيـسـرةٍ ... وافت غداً فمحت دجى العُسرَى

• ترانيم الليل : على الجندى ، دار المعارف بمصر – سنة (١٩٦٤ م) .

(٦) خاقان : لقب ملوك الترك .

حارس البنكنوت

للشاعر على الجندى

أضواء على التجربة

لا تجعل المال فى قلبك وإن أُفعم به جيبك. تلك موعظة العقلاء، ولا يعقلها إلا العقلاء، فإذا لم تصادف هوى فى نفس الباحثين عن الثراء المادى هوت أفئدتهم فى مهاوى العشق للعرض الزائل، ووقعوا فرائس للحرص القاتل والشح الفاتك.

روت الصحف أن رجلا هرمًا يعيش سجينًا فى ڤيلته خائفًا مترقبًا يحرس آلافًا مؤلفة من أوراق البنكنوت !! وقد تآمر اللصوص على سرقته لولا يقظة رجال الشرطة.

ولا غرو أن ينفعل شاعرنا بهذا الموقف لتكون هذه الأبيات فى هجاء البخل والبخلاء.

حارس البنكنوت ! !

لابس البُؤْس تحتَ أَفياءِ نُعمَى ... لستَ للمُنْعِم الكريم بشاكرْ[١]

أَيُّ معنى للمال إن لَمْ يُحلْ دنيا ... ذَوِيه إلى جِنانٍ نَضائر[٢]

أيّ مَغزًى له إذا لم يُرَفِّهْ ... عن لهيف، وأَن يَسُدَّ المفاقر[٣]

أيّ نفعٍ له إذا هُوَ لم يَبْـ ... ـن لأَبنائه سَنِيَّ المفاخر

أى فضل له إذا عاش مسجو ... نا كما عاش مُعْرِق فى الجرائر[٤]

● ترانيم الليل على الجندى

دار المعارف بمصر – القاهرة : (١٩٦٤م)

---

(١) الأفياء : الظلال، جمع فيء. والمنعم الكريم : الله سبحانه وتعالى.

(٢) لم يحل : يغير .

(٣) المفاقر : وجوه الفقر .

(٤) الجرائر : الجرائم؛ جمع جريرة.

الطفلان العاشقان

على الجندى

أضواء على التجربة

هو فى الثالثة من عمره ، وهى فى مثل سنه أو تنقص عنه قليلاً ، نشأ بينهما الحب، فصارا لا يطيقان الفراق فى ليل أو نهار.. هو حب إذًا تحوطه البراءة بسياج العفاف.. عاطفة أسمى من السمو وأصفى من الصفاء، ترى كيف تراها أعين الشعراء ؟!

أفديهما من عاشقيـ ـن تشاكلا حسًّا ومعنى
غُصنان فى ظلِّ الصِّبا بَذَّا غصونَ الروضِ حُسْنا
ما منهما بحبيبهِ إلا أخو، وله مُعَنَّى
إنْ غاب عنه أنَّ مُشـ ـتاقًا، وإنْ وافاه غنَّى
قرّتْ به عينًا - فلم تألفْ سواه - وقرَّ عَيْنا
يتعاطيان من الهوى كأسًا ذَكَتْ غَرسًا ومَجنى
من خمرةٍ لم تتخذْ إلا حنايا الصدر دَنَّا
وتراهما - تحت الكرى - يستقبلان الطيفَ وهنا (١)
متبسِّمينَ له كما ابْـ ـتسَمَ المَرُوعُ إذا اطمأنّا

---

(١) الوهن :نصف الليل.

(٢) الخشف : ولد الغزال.

إن يغْـضَـبـا فـالقلبُ أبـ ... ـيضُ لـم يُسئ بـالحبِّ ظنَّـا
هـى لحظةٌ تمضى ومـا ... حملا بهـا فى الصدر ضغنا
كـمْ مِنْ وداد عـاد بعـ ... ـدَ الهـجْـرِ وهو أشـدُّ رُكْنا
ولـربمـا أبـدى المحِـ ... ـبُ تجلُّدًا والقلبُ مـضنى
فـنٌّ من الحبِّ الـرفـيـ ... ـع وقـد عـرفتُ الحبَّ فنَّا
لـلَّه حـين تـراهـمـا ... نزلا من الأشـجـار كنَّا
والـزهـرُ أيـقـظَـه الـنـدى ... والـورْقُ فى الأوراق وَسْنـى
أَمنَا الـرقـيـبَ، وقـلَّ أنْ ... يَلقى أخـو الصبَـوَات أَمْنا
خَـشْفٌ(٢) يعـانقُ مـستطا ... رًا لُبُّـه خـشْـفًـا أغنَّا
يتـقـارضـان الهـمسَ يَسْـ ... ـرى فى ثنـايا النفس لحْنا
لَبسَـا الهـوى العـذرىَّ ثَوْ ... بًـا طـاهـرًا ذَيْـلاً ورُدْنـا
لم يَنْدمـا يومًـا إذا ... قَـرعتْ غُـواةُ الحب سنَّا
يـاأيـهـا الـفـنـان لا ... بَرَحَ الهـوى بكمـا مُـهنَّا
ولقـيـتـمـا أيامَـهُ ... سـعـدًا يُظلكمـا ويُمنا
لا تسْـمـعـا قـولَ الوشـا ... ة ولا تُعـيـرا العـذْلَ أُذْنا
وليـرع حـبَّكُمَـا العَـفَـا ... فُ فلم يزل للحبِّ حـصنا
لو كـان يهـوى الناسُ مـثـ ... ـلَكُمَـا جَنْوا سَلْوى ومَنَّا
مـثَّلْتُـمـا لى فى صَـفـا ... ء هواكـما «قـيسًا ولُبْنى»
سـقـيًا لروضِكُمـا وحَـيَّـا ... هُ عِـمـادُ المزنِ عَنَّا

● الشعر العربى المعاصر روائعه ومداخله : د . الطاهر أحمد مكى
دار المعارف بمصر – القاهرة

إلى حواء العصر

للشاعر محمد عبد الرحمن صان الدين

للشعر عنده رسالة، ينهض بها الشاعر الحق ؛ انتصاراً للعقيدة، وسموًّا بالعواطف الإنسانية ، فهو القائل :

أيا شعر إن لم تنتصر لعقيدتى وتجهر بها فى الناس كنتَ عقيما
وإن أنت بالأنغام لم تُعْلِ عندهمُ عواطف دنيا كنتُ منك سقيما
رأيتك عند القانتين لربهمُ ملاكًا، وعند الغافلين رجيما

وكيف لا وللشعر أثر فى النفس لا ينكر ، يعبر عنه شاعرنا بقوله :

سمو المعانى فى القريض منابع تفيض بجدباء النفوس نعيما
وتضفى على الدنيا بهاءً ورونقًا يضيئان من قدس الجلال حُلُوما
لهذا جعلت الشعر نايًا أبثه ترانيم قلب لا يزال حميما

ويُجمل شاعرنا خلاصة فلسفته الشعرية محدداً معياره للحكم على الذائقة الشعرية ، بل الذائقة الفنية إجمالاً ، فى قوله:

ومن يحظ بالذوق الرفيع فإنه يكون لسفساف القريض خصيمًا
فلا كان فن بالمجون مزخرفا ولا كان شعرٌ يستبيح حريمًا

إطلالة على صاحب التجربة

- هو محمد عبد الرحمن محمود صان الدين .
- ولد عام ١٩٢٣م فى برديس بمحافظة سوهاج بجمهورية مصر العربية . حفظ القرآن فى بلده ، ثم التحق بالأزهر عام ١٩٣٨م، وقضى فيه عشر سنوات ، وحصل على أهلية الأزهر القديمة ، ثم على دراسات تكميلية تربوية لمدة سنتين .
- شغل وظائف مأذون شرعى ومدرس ابتدائى وإعدادى ، وعضو التنسيق بديوان وزارة التربية والتعليم بوظيفة ناظر مدرسة ، وأعير إلى ليبيا مدرساً لمدة أربع سنوات .
- نظم الشعر قبل التحاقه بالأزهر ، وألقى الكثير من أشعاره فى المحافل والأندية ، كما نشر العديد من قصائده فى مجلات : الأزهر ، ومنبر الإسلام ، والهلال بمصر ، والأمة بقطر ، والوعى الإسلامى بالكويت ، والمنهل ، والمجلة العربية بالسعودية ، ومنار الإسلام بالإمارات .
- دواوينه الشعرية : أعاصير وأنسام ، شوارد وسوانح ، ومجموعة شعرية مخطوطة بعنوان فى بحار الكون .
- ممن كتبوا عن شعره : مختار الوكيل ، محمد عبد المنعم

خفاجى ، مصطفى حسين ، أحمد مصطفى حافظ ، جليلة رضا فى مجلات : القافلة والمجلة العربية بالسعودية ، والأزهر وعالم الكتاب بمصر .

قالوا عن صاحب التجربة

« خلاصة القول فى هذا الشاعر : أنه شاعر إسلامى رومانسى فى آن واحد ، وقصيدته العاطفية « الحنين إلى أرض الكنانة » مزيج من هذا الائتلاف .. ويتسم بالحب الصادق للوطن ، وهل هناك أغلى من الوطن وأعز، إنه يحن إلى هذا الوطن الغالى حنينًا عارمًا جارفًا ، وكل من بعد عن الوطن شعر بمثل حنينه ، ولكنه ربما عجز أو قصر عن الإفصاح عن هذا الحنين الجياش بمثل ما صنع الشاعر محمد صان الدين » .

الشاعر الدكتور مختار الوكيل

وعن الجانب الإيمانى فى شعر محمد عبد الرحمن صان الدين يقول الدكتور مختار الوكيل فى مقدمته لديوانه أعاصير وأنسام :

« وإذا استطردنا فى الجانب الإيمانى عند شاعرنا صان الدين أحسسنا براحة نفسية ، وشعرنا بنسيم الإيمان يهب على صدورنا

فينعشنا ، ويطمئننا إلى أن روح الشاعر يغمرها الإيمان ويدفعها إلى الإبداع فى الميادين الروحية ، إنه امتداد لروح شاعر الإسلام العظيم محمد إقبال » .

أضواء على التجربة

« إلى حواء العصر » إحدى قصائد ديوان شاعرنا محمد عبد الرحمن صان الدين أعاصير وأنسام ، وقد صدَّره بهذا الإهداء :

« إلى كل شَغُوف بالكلمة الشعرية الرفافة ، والإيقاع الموسيقى الساحر الذى تفردت به لغتنا الجميلة بين سائر اللغات أهدى ديوانى هذا نسمات من الأنغام وأنغامًا من النسمات تارة ، وزمجرة وعصفًا كالأعاصير تارة أخرى ، حسب مقتضى الحال الذى تمليه المواقف . وفى كل الأحوال لا يملك الشاعر إلا أن يبث فى شعره هتفات وجدانه ، ونبضات قلبه كيفما كانت » .

وجريًا على طريقة الشاعر محمد مهدى الجواهرى فى دعوته لجياع الشعب لكى تعرب عن سخطها على واقعها المرير تجيء دعوة شاعرنا محمد عبد الرحمن صان الدين إلى حواء العصر

مفعمة بالنقد اللاذع والسخرية المريرة ، لا حبًّا فيهما ، وإنما طمعًا فى إزالة الغشاوة التى يفرضها المنطق الزائف تحت ستار العصرية .

فإذا كان الجواهرى فى تنويمة الجياع يقول :

نامى جياع الشعب نامى، حرستك آلهة الطعام
نامى فإن لم تشبعى من يقظة فمن المنام
نامى على زبد الوعود يداف فى عسل الكلام
نامى تزرك عرائس الأحلام فى جنح الظلام
تتنوَّرى قرص الرغيف كدورة البدر التمام
وترى زرائبك الفساح مبلَّطات بالرخام

فإن شاعرنا يرمى بأبياته إلى القول :

بين الشك واليقين تتردد مهج الحائرين، وما الشك عند الطامحين إلى ضده إلا سلمًا لاستقرار النفس وطمأنينة الخاطر، فاليقين غايتهم المرتجاة، هكذا الشك عند السالكين لدروب النجاة، وعند غيرهم من الهالكين نرى الشك قِبْلَةً تؤم وكأنه منتهى المأمول وغاية الوصول .

إلى حواء العصر

كونى كما خطت يد الأهواء ... يابنت جيل الآلة الصماء
وخذى شياطين الغواية مرشداً ... واستسلمى للفتنة الشعواء
واستقبلى بحماسة مجنونة ... كل الذى يأتى من الغرباء
وتحررى من كل قيد عاصم ... وتطلعى لبوارق الإغراء
وتمردى ماشئت دون تأثم ... إن التأثم شيمة القدماء
والعيش فى ظل القديم خطيئة ... جلَّت عن الغفران والإعفاء
وتقحَّمى سوق الحياة وزاحمى ... بالمنكبين إلى السراب النائى
وخذى الزمام من الرجال فإنهم ... ليسوا بأكفاء ولا حكماء
وتقلدى كل المناصب واجـ ... لسى للحكم فى زهو وفى خيلاء
وتبوئى صدر المحافل زهرة ... ألوانها ممزوجة برياء
ودعى خصائصك التى من أجلها ... كنت الثريا فى أعز سماء
ودعى شئون البيت للبعل الذى ... ألقى الزمام وراح فى استرخاء
متواكلاً مستعذبًا فى حسه ... مر الخنوع وغصة الإحناء
أما وليدك فاطرحيه مفزَّعًا ... فى رحمة الجيران والأجراء
يحبو على قلق وينظر حائراً ... فى أوجه القاسين والرحماء
لا أمن يدفئ حسه كلا ... ولا يغذوه صدر صادق الإعطاء
ياويحه من برعم قد غاله ... لفح السَّموم وحرقة الإظماء

نكد الخروج إلى الحياة كأنه شوك يكابد قسوة الصحراء
عار على بنت المعاهد والنوا دى أن تلبى حاجة الأبناء
فالبيت والأبناء والإرضاع و الـ ـعيش الوديع وظيفة الدهماء
هذا لعمرى منطق العصر الذى غشَّى الضباب به عيون الرائى
فغدا وقد ندَّت مدارك عقله متردياً فى جاحم الأخطاء
كونى كما شاء الغواة وشئت فى زيف الخداع وغفلة البلهاء
وإذا تهاوى العش من عليائه وغدا نثاراً فى يد الأنواء
وتجهمت أيام عيشك وانثنت عنك العيون وهالة الأضواء
وتلهفت عيناك باحثة إلى درع يقيك عوارض اللهواء
ووقفت منهكة القوى تترنحيـ ـن جريحة فى وحشة الظلماء
لا تندبى لا تستغيثى إنما تجنين غرسك من ضنى وشقاء

البعث حقيقة
أضواء على التجربة

شاعرنا فى تجربة «البعث حقيقة» وهى إحدى تجارب ديوانه أعاصير وأنسام يعيش حواراً مفعماً بالإثارة مع صاحبه المرتاب حتى يأتيه اليقين الذى لا تملك له ألباب الأسوياء إلا الإذعان؛ فالحجة بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك .

البعث حقيقة

طفت يوماً فى خشوع ... عند أرماس قديمة
عرَّت الأرياح منها ... أعظماً فيها رميمة
بعضها قد صار تربا ... ذهبت عنه الزهومة
كان هذا الترب يوما ... جسم هيئات وسيمة
ناعمات مرهفات ... ذات أصوات رخيمة
واستهلت من عيونى ... فوق صحن الخد عبرة
ذى حياة ثم موت ... واندثار بين حفرة
ثم نشر وانبعاث ... حين يلقى الله أمره
ثم خلد فى جحيم ... أو جنان مستقرة
يابنى الدنيا أفيقوا ... إن فى هذا لعبرة
فانبرانى ذو فتون ... فى ازدراء أو يزيدُ
قال لى فى نبرة قد ... هالنى منها الجحودُ
أى مرء مستخير ... ضمه هذا الوجودُ
لا يرى فى بعث عظم ... أن ذا رجع بعيدُ
كل شىء إن تلاشى ... فى فناء لا يعود

فى دياجى الموت يخفى ... الناس فى ليل طويلِ
ما رأينا أن ميْتًا ... عاد من بعد الرحيلْ
ما سمعنا غير قول ... لم يؤيد بالدليل
عن نشور بعد مو ... ت ساغ فى الفكر الكليل
أى برهان لدعوى ... ردها راقى العقول
قلت ياهذا تأمل ... ذلك الغصن الرطيبا
وانظر الأزهارَ فيه ... تملأ الأجواء طيبا
كان من عهد قريب ... يابسًا يبسى القلوبا
ليس فيه من حياة ... لا ترى إلا شحوبا
ما له قد عاد غضًّا ... يرتدى ثوبًا قشيبا
وانظر الغبراء تُلْفى ... أنها أرضٌ موات
لا تراها غير جدب ... جعدته السافياتُ
إن سقاها الغيث دبت ... فى روابيها الحياةُ
واكتست خصبًا بهيجًا ... قد زكى فيها النباتُ
يجتنى منه رياش ... أو ثمار ناضجاتُ
هل سألت العقل يومًا ... أين كان المرء قَبلُ
كيف أضحى ذا كيان ... شكله فى العين يحلو
كيف دبت فيه روح ... ذات أسرار وعقلُ
لم يكن من قبلِ شيئًا ... منه فوق الأرض ظلُّ
كان معدومًا بغيب ... ليس عنه ما يدلُّ
فى محيا صاحبى قد ... حَدَّقت عينى لعلَّ
ما تغشاه رقيقٌ ... من ضباب قد تولَّى
فارتأت فيه بريقًا ... من هدى القلب تجلَّى
والذى قد كان وعرًا ... منذ ساعٍ صار سهلا
ثم حيًّا فى خشوع ... قائلاً: أين المصَلَّى

يا مصر

للشاعر محمد الأسمر

- شاعرنا يرى أن نظم الشعر لا يستقيم أمره للشاعر إلا إذا كملت أدواته لديه ، ومن أهم هذه الأدوات : الاطلاع على اللغة وآدابها ، والشعور الصادق ، والقدرة على صياغة هذا الشعور فى الألفاظ المتخيَّرة .

- كما يرى أن حال الشاعر فى معاناته لنظم الشعر أشبه بحال التى تلد ، فمعانى الشاعر وصياغته اللفظية التى تتمخض عنها انفعالاته النفسية أبياتًا من الشعر ليست فى الحقيقة إلا ميلادًا لبنات أفكار الشاعر .

- ولعل هذا هو السبب الأكبر لتعصب الشاعر لشعره وحبه إياه، أيًّا كان هذا الشعر ، كما هو شأن الأم مع أبنائها ، والوالد مع أولاده .

إطلالة على صاحب التجربة

- هو محمد محمد الأسمر ، ولد بدمياط عام ١٩٠٠ م وفيها تعلم، ثم دخل الأزهر ، وفيه تخرج ؛ حيث أحرز شهادة العالمية .

- عين معاونًا فى مكتبة الأزهر ، وأمينًا فى مكتبة المعهد الدينى، فمصححًا فى جريدة السياسة ، وفيها نشر بعض شعره .
- اختير عضواً فى لجنة الشعر .
- وتوفى عام ١٩٥٦ م .

قالوا عن صاحب التجربة

« لشعرك تأثير فى نفسى أحسبه يفوق ما يفعل الشعر ، ذلك أنه فيض نفس أحبها ، وقد يكون سحرًا ذلك الذى ترسله نغمًا موسيقيًّا فى أسلوب سهل فيسرى فى الأرواح ويفجر العواطف خلالها تفجيراً » .

فضيلة الشيخ مصطفى عبد الرازق

شيخ الجامع الأزهر

« فى شعر الأسمر جمال كثير، فالكلمة المفردة فى شعره منتقاة لها جمالها الخاص بها ، وتقرأ البيت من شعره فتجد له جماله الخاص به ، وتقرأ القصيدة كلها فتجد كل بيت أخذ مع الأبيات الأخرى لونًا آخر من الجمال زيادة على جماله الخاص به... ففى شعر الأسمر جمال مستقل ، وجمال متشابك

متجدد... والأسمر موفق كل التوفيق فى اختيار ألفاظه لمعانيه حتى كأن معانيه فيها مغناطيسية تجذب إليها ألفاظها التى يتطلبها المثل الأعلى لصياغة الشعر» .

الشيخ محمد محمد الشافعى الظواهرى

الأستاذ بكلية أصول الدين بالأزهر الشريف

«إن شعر الأسمر كنغمات «البيانو» ، وهو غذاء كامل للروح، وإن الأسمر يمتاز بمقدرته على إبراز معانيه التى يريدها إبرازًا كامل الوضوح ، حتى لنكاد – وهى معنى من المعانى – نراها بأعيننا ونلمسها بأيدينا» .

الزعيمة النسائية هدى شعراوى

«إن شعر الأسمر رائع فاتن ، وهو أشبه الأشياء بقوس قزح فى جماله وتعدد ألوانه» .

الشاعر الكبير خليل مطران

«شعر الأسمر فى معظمه مزيج من الحقيقة والخيال ، يرتفع الشاعر حينًا فى جو التصور ، فيصور ما يجلوه له الخيال ، ويغوص إلى أعماق النفس حينًا ، فيروى ما يشعره به حسه ويدرج حينًا فى عالم الحقائق المجردة فيصف شئون الحياة كما هى جميلة أو شوهاء، سعيدة أو مبتئسة ، مفترة الثغر أو مقطبة الجبين .

ولما كان شاعرنا خبيرًا بأساليب النظم عليمًا بأسرار القوافى فإن

التعبير يجيئه فى هذه المواقف الثلاثة طيعاً ، ويلبيه مؤدياً بما يريد » .

أنطون باشا الجميل

أضواء على التجربة

لكل شيء حقيقة، ما فى ذلك ريب، فإن صدع المرء بإيمانه فقد صح أن يسائل نفسه قبل أن يسائله الآخرون : ما حقيقة إيمانك ؟

فكل يدعى وصلاً بليلى ... وليلى لا تقر لهم بذاكَ
إذا اشتبكت دموع فى خدود ... تبين من بكى ممن تباكى

هذا إن كان المقام مقام تعبير عن المعتقد أو العاطفة والشعور، فما بالكم إن كان المقام مقام بذل وتضحية وعطاء، ترجمة لهذا المعتقد أو تلك العاطفة أو ذلك الشعور .

ولله در شاعرنا إبراهيم طوقان عندما قال فى هذا السياق :

وطن يباع ويشترى ... وتصيح فليحى الوطن
لو كنت تبغى خيره ... لبذلت من دمك الثمن
ولقمت تضمد جرحه ... لو كنت من أهل الفطن

على أن شاعرنا محمداً الأسمر وإن كان قد صاغ تجربته التى

تحمل عنوان « يا مصر » أيام الحرب العالمية الثانية حينما ادعت إنجلترا أنها تدافع عن مصر فإن العبرة – كما يقول علماء أصول الفقه – بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

يا مصر

هل بات يُغنى أن يقال لها اسلمى ... إنْ صَحَّ ذلكَ فاسلمى ثم اسلمى
يا مصرُ إن الله جلَّ جلالُهُ ... لا يستجيبُ إلى دُعاءِ النُّوَّم
اليومَ ألسنةُ المدافع وحْدَها ... مقبولةُ الدعواتِ، طاهرةُ الفَمِ
فالأرضُ للأقوى على جنباتها ... ليستْ لأتقاها . ولا للأعلم
الجوُّ لم تملكْهُ غيْرُ نسورِه ... والغابُ لم يملكْهُ غيرُ الضيْغَمِ
إن (الحليفة) لا تَفِى بعهودِها ... لكمُ وأنتمُ طُعْمَةُ المستطعم
لم تَحْمِكُمْ شغفًا بسحرِ عيونكُم ... هيهات بل تحميكُمُ كى تحتمى[1]
تَخِذَتْكُمُ درعًا لها فتعلَّمُوا ... منها فنِعْمَ الدَّرسُ للمتعلِّم
إن المواثيقَ التى أعطتكُمُ ... ليست مواثيقَ القضاء المُبْرَم
فابنُوا على الأفعال ما تبنونَهُ ... ودعوا الكلام فلات حينَ تَكلُّمِ
سُفُنُ العدالةِ مذ كانتْ لم تَسِرْ ... إلا بمجداف الكمىِّ المُعْلَم
والحقُّ ليسَ ببالغٍ (جُودِيَّهُ) ... حتى يخوض إليه طوفانَ الدم!!

• ديوان الأسمر : محمد الأسمر ، شركة فن الطباعة – القاهرة (د. ت) .

(١) نظم الشاعر هذه الأبيات أيام الحرب العالمية الثانية حينما ادعت إنجلترا أنها تدافع عن مصر .

النساء وقص الشَّعْر

للشاعر محمد الأسمر

أضواء على التجربة

شعر المرأة كان ولايزال من مفاتنها ، وكان طوله جزءاً لا يتجزأ من حسنه فهو مظهر الجمال الذى لا ينازع، إلى أن تبدل النظر إلى مظاهر الجمال بتبديل معايير الاستحسان والاستجادة.

وفى هذه التجربة يبدى شاعرنا عدم ارتياحه إلى قص النساء شعورهن فى لوحة شعرية ساخرة، على أن الأسمر قد عدل عن هذه الرؤية ، ورأى فيما بعد أن للشعر المقصوص جماله الخاص به شأنه شأن ماللشعر الطويل من جمال خاص به.

ولكن يبقى لتجربته الشعرية «النساء وقص الشعر» جمالها الخاص أيضاً

النساء وقص الشعر

لا أرى الغيدَ فى الكنانة إلا ... شاردات راحتْ بغير زمام
أىّ شيءٍ فعلنَ بالرأس حتى ... صار وجهُ الفتاة وجهَ الغلام؟!
عجباً للحسان يسرقنَ منا ... كل شئ، لم يَبقَ إلا الأَسَامى!!
سائلوا الغيدَ هل رأيتُنَّ بدراً ... راعَ يوماً إلا بجُنحِ ظلام
إنما الشَّعْرُ حلْيَةُ اللَّه للأنـ ... ـثى وإكليلها البديع النظام
حالَ حُسْنُ الوجوهِ بَعْدَكَ ياشَعـ ... ـرُ، وحالت محاسِنُ الأيامِ

● ديوان الأسمر : محمد الأسمر . شركة فن الطباعة – القاهرة

الشاعر والوظيفة

للشاعر محمد الأسمر

أضواء على التجربة

لم نر فى حياتنا إقبالاً كإقبال المبدع على الحرية والانطلاق، ولم نر فيها نفوراً كنفوره من القيود والأغلال، وفى طليعة أولئك المبدعين يجيء الشعراء، ولا تستثنى من هذه الأغلال قيود العمل الوظيفى.

وقل أن نجد شاعراً لا يجأر إلى الله بالشكوى من قيود الوظيفة التى تئن تحت نيرها روح الشاعر الوثابة، ولعل تجربة الأسمر فى هذا السياق خير شاهد على ذلك ؟

فقد أسندت إليه فى أول عمله بالحكومة وظيفة كتابية تتعلق بحضور الطلبة بالأزهر أو عدم حضورهم، وما شابه ذلك من أمور الطلبة، فأيقن شاعرنا أنه لم يخلق لمثل هذا وكل ميسر لما خلق له، وكل ميدان له فارسه، وفى ميدانه كانت هذه التجربة الفريدة.

الشاعر والوظيفة

مَنْ مجيرى من (خليلٌ غائب) (ولبيبٌ) أو (سعيدٌ حاضِرُ)
و(إجـــازات علىٍّ) بلغتْ مُنْتَهاها، و (مريضٌ طاهرُ)
وفلان (راسبٌ) أو (مُوقَفٌ) وفــلانٌ (أول) أو (آخِــرُ)
و(الحــسابات)وناهيكَ إذا ضَلَّ أو أخْطأ فيها الناظِر
و(القيودات) التى لا تنْتَهى فخطاب (واردٌ) أو (صادِر)
و(السِّجِلاتُ) وما قد جَمَعتْ فهى بَحْر وخضَمٌّ زاجِر

حـالةٌ مـا كنتُ يومًـا مَّـا لهـا فهى لا ينفعُ فيـهـا الشـاعـر
كُلُّ مـيـــدان، له فـــارسُـــهُ حـــاسبٌ أو شـــاعـــرٌ، أو ناثر
لا ترى فى الماءِ إلاَّ حُـــــوتَهُ ليس تحتَ الماءِ طيـــرٌ طائر!!
فـضـعُـوا كُلَّ امرئٍ مَـوْضِـعَـهُ ولكُـمْ منهُ اللَّسـان الشـاكـر

● ديوان الأسمر: محمد الأسمر
شركة فن الطباعة – القاهرة :

البكاء بين يدى زرقاء اليمامة

للشاعر أمل دنقل

صاحب مكانة متميزة فى مسيرة الشعر الحر؛ فقد شهد له كثير من الدارسين والنقاد والشعراء بأنه واحد من أكثر الشعراء المحدثين تعبيراً عن الحداثة بمفهومها الفنى، وبأنه من أكثر أصوات الشعر الحديث تميزاً وتفرداً.

هذا التفرد الذى امتاز به شاعرنا أمل دنقل جعله– كما يرى الدكتور مصطفى رجب –أكثر من غيره تأثيراً فى الجيل التالى من جهة، ومن جهة ثانية جعله أكثر من غيره احتياجاً إلى إبراز خصوصية التعبير عنده.

أطلق على شاعرنا « إمام الرفض»، ولعل فى هذا اللقب تجسيداً لصلابة الشاعر فى المواجهة، فقد ظل شاعرنا كما يقول الدكتور طه وادى– حتى اللحظات الأخيرة من عمره القصير وآلامه الكبيرة – ملتزماً حتى الموت ومستصرخاً عالى الصوت فهو القائل:

لا تصالح، ولو توجوك بتاج الإمارة

كيف تخطو على جثة ابن أبيك..؟

وكيف تصير المليك على أوجه البهجة المستعارة؟

كيف تنظر فى يد من صافحوك فلا تبصر الدم.. فى كل كف؟

إنَّ سهماً أتانى من الخلف.. سوف يجيئك من ألف خلف.

فالدم – الآن – صار وساماً وشارة

لا تصالح .. ولو توجوك بتاج الإمارة

إن عرشك سيف، وسيفك زيف

إذا لم تزن بذؤابته لحظات الشرف

واستطبت الترف »

إطلالة على صاحب التجربة

محمد أمل دنقل من مواليد القلعة فى محافظة قنا عام ١٩٤٠م .

تخرج فى كلية الآداب قسم اللغة العربية .

يعد من أبرز شعراء المدرسة الحديثة.

لمع اسمه بعد صدور ديوانه الأول عقب نكسة يونيو عام

١٩٦٧م.

صدرت له دواوين:

١- البكاء بين يدى زرقاء اليمامة عام ١٩٦٩م.

٢- تعليق على ما حدث عام ١٩٧١م.

٣- العهد الآتى عام ١٩٧٤م.

٤- مقتل القمر عام ١٩٧٤م.

٥- أقوال جديدة عن حرب البسوس عام ١٩٧٩م.

٦- لا تصالح عام ١٩٨٠م.

٧- أوراق الغرفة رقم ٨ عام ١٩٨٣م.

توفى فى القاهرة عام ١٩٨٣م.

قالوا عن صاحب التجربه

قصيدته «مقتل كليب» نموذج لكثير من شعره القومى الذى يعتمد على الرمز وإسقاط موقفه على شخصيات تراثية معروفة، بانيًا صوره الشعرية على الحوار النفسى أحيانًا والحوار المتبادل أحيانًا أخرى، وتتصل جُملُه الشعرية حتى يَخْفِتَ إيقاعها وتبدوَ

فى انسيابها وبساطةِ تعبيرها كأنها حديثٌ واقعى، على الرغم من أنها زاخرة بالمجازات والرموز والتأكيد بالتكرار».

الناقد الدكتور عبد القادر القط

فى تقديمه لكتاب : قوافى الحب والشجن

«ينتمى أمل دنقل فنيًّا إلى المدرسة الواقعية التى تبلور عطاؤها فى الخمسينيات من هذا القرن على أيدى عدد من شعراء التفعيلة، مثل : صلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطى حجازى وعبد الرحمن الشرقاوى من الجيل الأول. ثم جاء جيل الستينيات والسبعينيات وقد عبدت الطريق واستوت الواقعية على سوقها، وأصبح شعراؤها أمام مأزق التجديد الفنى ممثلاً فى الشكل والمضمون.

وقد استطاع أمل دنقل أن يحدد لنفسه بين شعراء الجيل الثانى مكانًا واضحًا؛ حيث خطا بالشعر الحر خطوات جادة وملحوظة، واتجه به اتجاهًا صريحًا نحو مضمون سياسى اجتماعى كفل له جماهيرية لم تتح لكثيرين من نظرائه ومعاصريه».

الناقد الدكتور مصطفى رجب

فى مقدمة كتابه: لغة الشعر الحديث- دراسة تطبيقية

فى ديوان «زرقاء اليمامة» لأمل دنقل.

«يمثل أمل دنقل علامة مميزة على خريطة الشعر المعاصر،

وتتسم أعماله بأنها تتمحور حول موقف محدد هو الدفاع عن قضايا الوطن (مصر)والأمة (العروبة)؛ فجيل أمل دنقل – هو الجيل الثانى فى مسيرة الشعر الحر، وهو نفس جيلى فى الدراسات الأدبية والنقدية– خرج إلى الحياة وسط هجير الحرب العالمية الثانية، وما أشاعته من بؤس ويأس فى الواقع العربى، وشب مع نكبة فلسطين التى تجسد محنة العرب، وتشكيل التحدى الحقيقى لإثبات ما إذا كان هناك عرب وعروبة.. أم لا ؟! وقد بلغ هذا الجيل درجة الوعى الشاب مع ثورة يوليو ١٩٥٢م ، وتطلَّع – من خلال الخطب والمواثيق– إلى الحرية والوحدة، لكنه استيقظ من الأحلام على حقيقة مرة، هى نكسة ١٩٦٧م، ورغم الجروح العميقة فإنه لم يفقد إيمانه بمستقبل أفضل » .

الناقد الدكتور طه وادى

فى كتابه : جماليات القصيدة المعاصرة

أضواء على التجربة

بين اليأس والرجاء تتأرجح أحلام الشعراء، ومهما تكن فداحة الخطوب فمن رحم الألم يولد الأمل فى غد أكثر إشراقًا، وفى مواطن الرثاء والحزن العبقرى تتجلى حكمة التفاؤل بالمستقبل الأفضل، وإلا فما جدوى البكاء بين يدى زرقاء اليمامة؟! إنها إحدى التجارب الفريدة التى تمثل عزفًا على سيمفونية الألم والأمل – كما يرى الدكتور طه وادى– الألم من واقع مر والأمل فى غد تسترد فيه صفوف ممزقة بعضًا من هيبتها المضيعة.. الألم من أوجاع النكسة، والأمل فى ترياق النصر.

البكاء بين يدى زرقاء اليمامة

للشاعر أمل دنقل

أيتها العرافة المقدسة

جئت إليك .. مثخنًا بالطعنات والدماء

أزحف فى معاطف القتلى، وفوق الجثث المكدسة

منكسر السيف، مغبر الجبين والأعضاء.

أسأل يازرقاء

عن فمك الياقوتِ.. عن نبوءة العذراء

عن ساعدى المقطوع.. وهو ما يزال ممسكًا بالراية المنكَّسة

عن صور الأطفال فى الخوذات .. ملقاةً على الصحراء

عن جارى الذى يَهمُّ بارتشاف الماء..

فيثقب الرصاص رأسه.. فى لحظة الملامسة!

عن الفم المحشو بالرمال والدماء!!

أسأل يا زرقاء..

عن وقفتى العزلاء بين السيف... والجدار!

عن صرخة المرأة بين السبى والفرار؟

كيف حملتُ العار..

ثم مشيت؟ دون أن أقتل نفسى؟ ! دون أن أنهار ؟!

ودون أن يسقط لحمى.. من غبار التربة المدنسة؟!

تكلمى أيتها النبية المقدسة

تكلمى .. بالله.. باللعنة.. بالشيطان

لا تغمضى عينيك، فالجرذان..

تلعق من دمى حساءَها . . ولا أردُّها!

تكلمى . . لشدّ ما أنا مُهان

لا الليل يخفى عورتى . .ولا الجدران!

ولا اختبائى فى الصحيفة التى أشدُّها . .

ولا احتمائى فى سحائب الدخان!

. . تقفز حولى طفلة واسعة العينين . . عذبة المشاكسة

(كان يقص عنك يا صغيرتى . . ونحن فى الخنادق

فتنفتح الأزرار فى ستراتنا . . ونسند البنادق

وحين مات عطشًا فى الصحراء المشمسة . .

رطَّب باسمك الشفاه اليابسة . .

وارتخت العينان!)

فأين أخفى وجهى المتهم المدان؟

والضحكة الطروب: ضحكته . .

والوجه . . والغمازتان؟

* * *

أيتها النبية المقدسة . .

لا تسكتى . . فقد سكتُّ سنة فسنة .

لكى أنال فضلة الأمان

قيل لى « اخرس . . »

فخرست . . وعميت . . وائتممت بالخصيان !

ظللتُ فى عبيد (عبس) أحرس القطعان

أجتز صوفها . .

أردُّ نوقها . .

أنام فى حظائر النسيان

طعامى : الكسرةُ . . والماءُ . . وبعض التمرات اليابسة .

وها أنا فى ساعة الطعان

ساعة أن تخاذل الكماةُ . . والرماة . . والفرسان

دعيت للميدان !

أنا الذى ما ذقت لحم الضأن . .

أنا الذى لا حول لى أو شأن . .

أنا الذى أُقصيت عن مجالس الفتيان

أدعى إلى الموت . . ولم أدع إلى المجالسة ! !

تكلمى أيتها النبية المقدسة

تكلمى .. تكلمى..

فها أنا على التراب سائل دمى

وهو ظمىءٌ.. يطلب المزيدا.

أسائل الصمت الذى يخنقنى:

« ما للجِمال مشيها وئيدا..؟! »

« أجندلاً يحملن أم حديدا.. ؟! »

فمن ترى يصدقنى؟

أسائل الركَّع والسجودا

أسائل القيودا:

« ما للجِمال مشيها وئيداً..؟! »

« ما للجِمال مشيها وئيداً..؟! »

أيتها العرافة المقدسة..

ماذا تفيد الكلمات البائسة؟

قلت لهم ما قلت عن قوافل الغبار..

فاتهموا عينيك يا زرقاء بالبوار!

قلتِ لهم ما قلتِ عن مسيرة الأشجار..

فاستضحكوا من وهمكِ الثرثار!

وحين فوجئوا بحد السيف : قايضوا بنا..

والتمسوا النجاة والفرار!!

ونحن جرحى القلب

جرحى الروح والفم.

لم يبق إلا الموتُ ..

والحطامُ

والدمار..

وصبية مشردون يعبرون آخرَ الأنهار

ونسوةٌ يسقن فى سلاسل الأسرِ

وفى ثياب العار

مطأطئات الرأس.. لا يملكن إلا الصرخات التاعسة!

.....

* ها أنت يازرقاء

وحيدةٌ ... عمياء!

وما تزال أغنياتُ الحب .. والأضواء

والعربات الفارهاتُ .. والأزياء!

فأين أخفى وجهى المشوَّها

كى لا أعكِّر الصفاء .. الأبله .. المموَّها.

فى أعين الرجال والنساء!؟

* وأنت يا زرقاء ..

وحيدة .. عمياء!

وحيدة .. عمياء!

(١٣/٦/١٩٦٧)

• مختارات من شعر أمل دنقل (مكتبة الأسرة : ٢٠٠٥م)

الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة : (٢٠٠٥م)

لا تصالح

للشاعر أمل دنقل

تتراءى لنا هذه التجربة في سياقها الطبيعي إذا أدركنا أن صاحبها يعيش عمق المحنة التي يعانيها الوطن، ولا سبيل إلى اجتيازها بغير إرادة من فولاذ تأنف الحياة إلا في كنف الشموخ والإباء مهما تكن التضحيات.

وإن قال قائل: إن الصلح خير. فإن صاحبنا يقول: عندما يكون صُلحًا.

وإن ذُكِّر بقول الحق:

﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾

فإن صاحبنا يقول: عندما يكون سلمًا.

– في هذا السياق تجيء لا الناهية عند إمام الرفض.

لا تصالح

(١)

لا تصالح!

.. ولو منحوكَ الذهَبْ

أترى حين أفقأُ عينيكَ،

ثم أثبِّتُ جوهرتين مكانَهما . .

هل تَرى . . . ؟

هى أشياء لا تُشترى . . :

ذكرياتُ الطفولة بين أخيكَ وبينكَ،

حسُّكما – فجأة – بالرجولة،

هذا الحياءُ الذى يكبتُ الشوقَ . . حين تعانقُهُ،

الصمتُ – مبتسمين – لتأنيب أمّكما . .

وكأنكما

ما تزالانِ طفلين!

تلك الطمأنينةُ الأبديَّةُ بينكما :

إنّ سيفانِ سيفَكَ . .

صوتانِ صوتَكَ

إنك إن متّ

للبيت ربٌّ

وللطفل أبْ

هل يصيرُ دمى – بين عينيكَ – ماءً؟

أتنسى ردائى الملطَّخَ . .

تلبسُ– فوق دمائى– ثيابًا مطرزةً بالقصبْ؟

إنها الحربُ!

قد تثقلُ القلبَ..

لكنّ خلفك عارَ العرب.

لا تصالحْ..

ولا تتوخَّ الهَرَبْ!

(٢)

لا تصالح على الدم.. حتى بدمْ!

لا تصالحْ ! ولو قيلَ رأسٌ برأس،

أكلُّ الرؤوسِ سواءٌ؟!

أقلب الغريب كقلبِ أخيك؟!

أعيناه عينا أخيكَ؟!

وهل تتساوى يد .. سيفُها كان لَكْ.

بيدٍ سيفُها أثْكَلَكْ؟

سيقولون:

جئناكَ كى تحقنَ الدمَ..

جئناك . كُنْ – يأمر – الحَكَمْ

سيقولون :

ها نحن أبناء عمْ .

قل لهم : إنهم لم يراعوا العمومة فيمن هَلَكْ .

واغرس السيفَ فى جبهة الصَّحرَاءِ . .

إلى أن يجيب العَدمْ .

إننى كنتُ لَكْ :

فارسًا .

وأخًا .

وأبًا .

ومَلكْ !

(٣)

لا تصالح . .

ولو حَرمَتْكَ الرقادْ

صرخاتُ الندامةْ .

وتذكَّرْ . .

(إذا لان قلبك للنسوة اللابساتِ السواد ولأطفالهنَّ الذين تخاصمهم الابتسامة)

أَن بنتَ أخيكَ« اليمامة »

زهرةٌ تتسربل – فى سنوات الصبا–

بثياب الحداد.

كنتُ، إن عدتُ:

تعدو على دَرَج القصرِ،

تمسكُ ساقىَّ عند نزولى...

فأرفعها – وهى ضاحكةٌ–

فوق ظهر الجوادْ.

ها هى الآن .. صامتةٌ.

حرمتها يدُ الغدرِ:

من كلمات أبيها

ارتداء الثياب الجديدة

من أن يكون لها – ذاتَ يوم – أخٌ!

من أب يتبَسَّم فى عرسها..

وتعودُ إليه إذا الزوجُ أغضبها..

وإذا زارها .. يتسابق أحفادُه نحو أحضانهْ،

لينالوا الهدايا..

ويلهوا بلحيته (وهو مستسلمٌ)

ويشدُّوا العمامة .

لا تصالحْ!

فما ذنبُ تلك اليمامة

لترى العشَّ محترقًا . . فجأةً،

وهى تجلس فوق الرمادْ؟!

(٤)

لا تصالح

ولو توَّجوكَ بتاج الإمارة .

كيف تخطو على جثة ابن أبيكَ . . ؟

وكيف تصير المليكَ . .

على أوْجُهِ البهجةِ المستعارة؟

كيف تنظر فى يد من صافحوكَ . .

فلا تبصرُ الدَّمَ . .

فى كلِّ كفْ؟

إن سهمًا أتانى من الخلفْ

سوف يجيئكَ من ألفِ خَلفْ .

فالدمُ – الآن – صار وسامًا وشارة.

لا تصالحْ،

ولو توَّجوكَ بتاج الإمارة

إن عرشك : سيفٌ

وسيفك : زيفٌ

إذا لم تَزنْ – بذؤابته – لحظاتِ الشرفْ

واستطبتَ – الترفْ

(٥)

لا تصالح

ولو قال مَنْ مَنْ مال عند الصدامْ

« .. ما بنا طاقة لامتشاق الحسامْ.. »

عندما يملأ الحق قلبكَ:

تندلع النارُ إن تتنفَّس.

ولسانُ الخيانةِ يخْرسْ.

لا تصالحْ،

ولو قيل ما قيل من كلمات السلامْ.

كيف تستنشقُ الرئتان النسيمَ المُدنَّسْ؟

كيف تنظرُ فى عينى امرأةٍ . .

أنت تعرف أنك لا تستطيع حمايتها؟

كيف تصبح فارسَها فى الغرام ؟

كيف ترجو غداً . . لوليد ينام

– كيف تحلم أو تتغنى بمستقبل لغلام

وهو يكبرُ– بين يديك – بقلب منكَّسْ؟

لا تصالح

ولا تقتسم مع من قتلوك الطعام،

وارو قلبك بالدم . .

وارو التراب المقدسْ . .

وارو أسلافَكَ الراقدينَ . .

إلى أن تردَّ عليكَ العِظام!

(٦)

لا تصالحْ،

ولو ناشَدَتكَ القبيلة

باسم حزنِ « الجليلة »

أن تسوق الدهاءَ

وتُبدى–لمن قصَدوكَ– القَبولْ.

سيقولون :

ها أنت تطلبُ ثأرًا يطولْ.

فخُذ– الآن – ما تستطيعُ:

قليلاً من الحقِّ..

فى هذه السنوات القليلة.

إنه ليس ثأرَكَ وحدَك

لكنه ثأر جيل فجيلْ.

وغداً..

سوف يولدُ من يلبسُ الدرعَ كاملةْ

يوقد النَّار شاملة

يطلب الثأر

يستولد الحقَّ

من أضلعِ المستحيلْ.

لا تصالحْ

ولو قيل إن التصالح حيلةْ.

إنه الثأرُ.

تبهتُ شُعلتهُ فى الضلوعِ..

إذا ما توالت عليها الفصول..ثم تبقى يدُ العارِ مرسومة

(بأصابعها الخمسِ)

فوق الجباه الذليلة!

(٧)

لا تصالح، ولو حذَّرتْكَ النجومْ

ورمى لك كُهَّانُها بالنبأ . .

كنت أغفرُ لو أننى مِتُّ

ما بين خيط الصواب وخيط الخطأ

لم أكن غازيًا،

لم أكن أتسلَّلُ قربَ مضاربهمْ

أو أحومُ وراءَ التخومْ

لم أمدَّ يداً لثمار الكرومْ

أرضَ بستانهم لم أطَأ

لم يصح قاتلى بى : « انتبِه » !

كان يمشى معى . .

ثم صافحنى . .

ثم سار قليلاً

ولكنَّه فى الغصون اختبأ!

فجأة :

ثقبتنى قُشعريرةٌ بين ضلعين . .

واهتز قلبى–كفقاعة–وانفثأ .

وتحاملتُ حتى احتملتُ على ساعدىّ

فرأيتُ :ابن عمى الزنيمْ

واقفًا يتشفَّى بوجهٍ لئيمْ

لم يكن فى يدى حربة،

أو سلاحٌ قديم

لم يكن غيرُ غيظى الذى يتشكَّى الظَّمأ .

(٨)

لا تصالح

إلى أن يعود الوجودُ لدورته الدائرة :

النجومُ . . لميقاتها

والطيور . . لأصواتها

والرمالُ . . لذراتِها

والقتيلُ لطفلته الناظرة .

كل شىء تحطَّم فى لحظةٍ عابرة :

الصبا– بهجة الأهل– صوتُ الحصان – التعرف بالضيف –

همهمةُ القلب حين يرى برعمًا فى الحديقة يذوى– الصلاةُ

لكى ينزلَ المَطرُ الموسِمى- مراوغة القلب حين يرى طائر الموتِ
وهو يرفرفُ فوق المبارزة الكاسرة.
كل شىء تحطم فى نزوةٍ فاجرة.
والذى اغتالنى: ليس ربًّا..
ليقتلنى بمشيئته
ليس أنبل منى.. ليقتلنى بسكينته
ليس أمهر منى.. ليقتلنى باستدارتِه الماكرة
لا تصالح
فما الصلح إلا معاهدة بين ندين..
(فى شرف القلب)
لا تنتقص
والذى اغتالنى محضُ لص
سرق الأرض من بين عينىَّ
والصمتُ يُطلقُ ضحكته الساخرة!

(٩)

لا تصالح
ولو وقفت ضد سيفكَ كلُّ الشيوخ
والرجالُ التى ملأتها الشروخ

هؤلاء الذين يُحبُّون طعم الثريد

وامتطاءَ العبيد

هؤلاء الذين تدلَّت عمائمهم فوق أعينهم

وسيوفُهم العربية قد نسيت سنوات الشموخ

لا تصالح

فليس سوى أن تريد

أنت فارس هذا الزمان الوحيد

وسواكَ.. المسوخ!

(١٠)

لا تصالح

لا تصالح!

نوفمبر «تشرين الثانى» ١٩٧٦م

● مختارات من شعر أمل دنقل

(مكتبة الأسرة: ٢٠٠٥م)

الهيئة المصرية العامة للكتاب– القاهرة :(٢٠٠٥م)

هذيان

للشاعر إلياس فرحات

هو القائل :

لئن كنتُ لم أدخل المدرسات صغيراً ، ولا بعد هذا الكبر
فذا الكونُ جامعةُ الجامعات وذا الدهرُ أستاذُها المعتبر

هو المتنبى الجديد كما لقبوه ، إنه إلياس فرحات، رحلة كفاح وعطاء ، كفاح لمشقات الحياة ، وعطاء للإبداع الشعرى ، لم يذق مرارة الكدح سعياً إلى القوت فى ربوع الوطن فحسب، بل امتد هذا الكدح إلى ديار المهجر ، فعاد إلى رحاب الوطن ، وما إن وطئتْ قدماه ثرى بلاده قال وعينه تذرف الدمع :

« ما فارقت هذه البلاد قط ، فقد حملتها معى إلى المهجر» ولكنه لم يلبث أن عاد إلى مهجره من جديد ، ذلك أنه لم يجد سبيلاً إلى العيش فى وطنه .

إلياس حبيب فرحات

(١٣١١ ـ ١٣٩٧ هـ = ١٨٩٣ ـ ١٩٧٧م)

شاعر مهجرى ، من شعراء العرب البارزين فى البرازيل .

ولد فى قرية كفر شيما بلبنان ، تلقى مبادئ القراءة فى دير القرقفة . اشتهر منذ صغره بنظم الزجل اللبنانى . ترك المدرسة وهو ابن عشر سنوات . عمل فى التجارة ، ثم احترف الطباعة، واشتغل فى عدة جرائد .

هاجر إلى البرازيل عام ١٩١٠ وعاش مع إخوته ، ثم جاء سان باولو ، واتجه إلى مطالعة الشعر الفصيح . اشترك مع توفيق ضعون فى إصدار مجلة « الجديد » ثم حرر فى جريدة « المقرعة » .

حصل على جائزة الشعر سنة ١٩٤٨ من مجمع فؤاد الأول . منحته الحكومة السورية وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى .

نشر شعره فى صحف « أبو الهول » و « الأفكار » . وكان من أهم أصدقائه الشاعر القروى سليم الخورى .

آثاره : له عدة دواوين أنتجها كلَّها فى مهجره ، ففى عام ١٩٢٥م جمع المجموعة الأولى من قصائده فى كتاب أسماه « الرباعيات » . وفى عام ١٩٣٢م صدر « ديوان فرحات » ثم طبع

ديوان « الربيع » فى ســان باولو سنة ١٩٤٥ ثم ديوان « أحــلام الراعى » سنة ١٩٥٢ ، وله ديوان « فواكه رجعية » وكتاب « عودة الغائب »، وديوان « مطلع الشتاء » .

قالوا عن صاحب التجربة

إلياس شاعر غزل ، وشاعر كأس ، فهو خيامى كبير، وحياته مثل حزين من أمثلة الكفاح من أجل الرغيف فى المهجر .

الشاعر صالح جودت

فى كتابه بلابل من الشرق

أضواء على التجربة

هذه التجربة وإن كان الهذيان عنوانها فإن الحكمةَ جوهرُها . . قصة نسجت خيوطها من اليأس والرجاء ، من ترقب المأمول والزهد فى الآتى ، فمن الحقائق ما هو أخدع من السراب ، ومن الأطياف ما هو أوقع من الحقيقة . وإن أدنى الأطياف إلى مهج الأصفياء ما نراه بعين الصدق ونحسه بروح الصفاء .

هذيان

اقـــعُـــدى . . إنى ســـأروى لك قـــصـــةْ
ليس للمـــعـــقـــول فـــيـــهـــا أىّ حـــصّـــةْ
واقعٌ أغـــــرب من كـل خـــــيـــــال
صـــاغـــهُ الحب على غـــيـــر مـــثـــال
اقـــعُـــدى . .إنّ حـــديثى ســـيطول
وســـيـــعْـــروك لما فـــيـــه ذهول
وســـــتـــــبكين . وكـم يحلو لديّا
أن أرى أنـك تـبـكـين عـلـيّـــــــا

***

حـــبّـــذا لو صحّ هذا غـــيـــرَ أنّى
خـــائفٌ أن تضـــحكَ الحـــسناءُ منّى
غـــسْل أكـــفـــانى بدمع الحبّ فـــيـــه
من مـــعـــانى حُـــبّـــه مـــا أشـــتـــهـــيـــه
وســـمـــاعى ضـــحكات الهُـــزْء منه
فـــيـــه تحطيم لقلبٍ لم أصُنْه !

***

اقـعُـدى . .
فالحب جدّ

وقضاء لا يُردّ
وحديثي معْك في موضوعه ما منه بدّ
أنت تدرين بأنْ ليس لميل النفس حدّ
وبأن القلبَ بالحبّ إلى القلبِ يُشدّ
وبأني لأكاذيب الورى خصمٌ ألدّ
لستُ في السن التي فيها الهوى بي يستبدّ
صرت في الجزْر الذي ما بعده للعمر مدّ
غربتْ شمس شبابٍ
كنت منها أستمدّ
جفّ جفنٌ مذ خبا جمْر الجَوى وارتاح خدّ
قام ما بيني وبين الغيد أمثالك سدّ
كلُّ وصل يُبذل اليوم لمثلي هو صدّ
ما لمن يسألني عن
سنوات العمر ردّ
هل لأمواج تلاشتْ
في محيط الدهر عدّ ؟!

***

كلُّ هذا بي، ولكنْ ما لقلبي

كلمـــــا نادتْه عـــــيناك يُلبِّى
مـــا لميْتٍ يتـــحـــدى دافنيـــه
واهمًـــا أنْ قـــد تدبُّ الروح فـــيـــه؟
أىُّ هاروت لعـــــينيك أباحَـــــهْ
آمـــلاً أن يجـــعلَ الصـــحـــراء واحـــةْ ؟
أنت فى قلبى هزارٌ فـــــوق عـــــود
عـــــاد لا يصلح إلا للوقـــــود
مـــا أتانى منك قـــد كـــان لديك
غـــيـــر مـــقـــصـــود فـــلا لوم عَليكِ
شِـــحنةٌ صـــاعـــقـــة من كـــهـــرباءِ
أحـــرقتْ أرضى ولم ترحم ســـمـــائى!
فـــأنـا اليـــوم رمـــادٌ وهبـــاءُ
كل أيامى غـــيـــوم وشـــتـــاءُ
وليـــــالىّ فـــــراغ وخـــــواءُ
ليت شـــعـــرى هل تُلام الكهـــرباءُ ؟!

***

أنـا قـــــد أقـــــفـــلتُ بـابى
وتـصـــــفَّـــــحتُ كـــــتـــــابى
فـــــاطـمـــــأننـتُ بأنّى :

دافعٌ كل حسابى !
ما الذى تبغين من زَوْرة شيخ لا يُحابى ؟
يعشق الصدق ولو أدّى إلى هجر الصحابِ
أنا لا أملك فى هذى الدّنى إلا ثيابى !
فرغتْ كأسى من الخمر ودنِّى والخوابى
وأناشيدى وآمالى سرابٌ فى سرابِ !
ولقد قطَّعتِ الأيامُ أوتار ربَابى
والصبا ولّى مع الصيف فما يُجدى التصابى

***

غير أنى ظلّ لى هذا الشعورُ
لأرى دُنيا الورى كيف تدورُ
وليزداد مع الوقت عذابى
كلما فكرت فى عهد الشبابِ
ولأقضى الليل فى التفكير فيكِ
عاجزًا مُستحيًا أن أشتهيك
لا يرى النوم إلى عينى سبيلا
إذ يراها للتهاويل مقيلا
إو يراها مُسْتقرًّا للدموعِ
أو لنار تتسامى من ضلوعى

أو يرى طيـفَك فـيـهـا يستـحمّ
أو يرى شـيـئًـا على الطيف يَنُمّ
هكذا أقـضى ليـالىّ الطوالا
زاحـفًـا نحـو الردى زحف الكسالى !
أقطع السـاعـات فى عـدّ الثـوانى
وهى كـالرمل على شط الزمـان !
آه لو كنت فـتى يملك قُـوَّهْ..
كنت أعطيك على الحب الفُـتـوَّه..
أنا فى سـوق الهـوى قـوّمت ذاتى
أنا مـيّتٌ أفـأعطيك رُفـاتى !!!

***

قـصّـتى قـصـة ليلٍ
زُرْتنى فـيـه جـهـارَا
لم أنم فـيـه ولم أحلم ولم أشرب عُـقَـارَا
كنت ظلاًّ مـر من عـينى إلى رأسى فَـدارَا
كنت طيـفًـا زارت الآمـالُ قلبى حين زارا
كنت روحًـا لابسًـا جسـمًـا من النور مُـعارا
كلمـا حـاولتُ أن ألثم عـينيـه توارَى
كلمـا أدنيتُ كـفى منه حـالَ النورُ نارا

كـلـمـــــــــــا مـلـتُ يـمـيـنًـا
نـحـــــــوه مـــــــال يـســـــــارا
هكذا حـتى انجلى الليل فـخـلاَّنى وسـارا
كنت منهـارًا ، فلمـا فـاتنى ازددتُ انهـيـارا

***

لـم يـكـن طـيـــــــفًـــــــا ولـكـن
فـكـرةً تـأبـى انـصـــــــهـــــــارا
فكرة تجعلنى أهذى كـما يهـذى السُّكارى !
فكرةً تُبـديكِ لى أجـملَ من كل العـذارى
فكرةً صـــوّرها الحبُّ ، وليس الحب عـارا
إنما عُـــصـــفـــوره منى مع الأيام طارا
وانتهى دورى ، فهلاَّ أسدل الشيبُ الستارا؟
مـــا تـقـــولين، وقـــد أدّيتُ دينى ؟!
مـــــــــا تـقـــــــــولـين ؟
أجـــــيـــــبـى قـــــبل بـيْـنـى
أطرقتْ ثـم أزالـت دمـــــعـــــتين !

• قوافى الحب والشجن : عبد القادر القط ، كتاب العربى (٤٢) ، وزارة الإعلام – الكويت (٢٠٠٠م) .

حكمة الأفعى

للشاعر إلياس فرحات

أضواء على التجربة

عندما تتزيا الأفعى بأزياء الحكمة وتدخل فى حوار فريد مع من تقلدها، فأى حكمة يمكن أن تجرى على لسانها؛ إذ ترى الأفعى أن مقلدتها قد فاقتها فى كل ألوان الخداع والإيذاء، فلا وجه إذن للقياس والمقارنة .

التجربة تفيض وعيًا بحقيقة الصراع العربى الإسرائيلى، كما تنضح بشعور وطنى دفاق ليس بمستغرب من شاعر كان له فى معركة فلسطين أكثر من تجربة شعرية، منها قصيدته الرائعة التى نال بها جائزة المجمع العلمى المصرى سنة ١٩٤٧م وقدرها سبعون جنيهًا .

وعلى الرغم من أنه كان فى حاجة إلى كل مليم منها ، فقد أبى أن يتسلمها، وحولها كاملة إلى صندوق إغاثة فلسطين.

وعندما فقد العرب فلسطينهم قامت فى أمريكا مؤسسة يسمونها النقطة الرابعة، مهمتها تزويد الأمة العربية بنوع من المخدر اسمه الدولار لعله يُنْسِى أبناءها ما فقدوه فى فلسطين من أرض وشهداء، فكانت هذه التجربة التى تحمل عنوان « حكمة الأفعى » .

حكمة الأفعى

قالت الأفعى لأمريكا: اسمعى ... إن تقليدك لى عين الشطط
أين منى أنت يا من سمها ... بغية التمويه بالشهد اختلط
بيننا الفرق كبير فاعلمى ... لا يحل الزيف ما الحق ربط
أنا لا أنكر أنى حية ... رضى العالم عنى أم سخط
أنا لا يهتف بالسلم فمى ... ويدى ترسم للحرب الخطط
أنا لا أنصر لصًّا، إن من ... ينصر اللص من اللص أحط
أنا لا أحمى جناة خانة ... قذف الموج بهم من كل شطط
أنا لا أستعبد المحتاج فى ... نقطة فيها من السم نقط
خدعة سميتها رابعة ... كل أرقامك من هذا النمط
أنت فيك السم لاحصر له ... وأنا السم بنابَىَّ فقط

● بلابل من الشرق : صالح جودت سلسلة (اقرأ : ٣٥٥)
دار المعارف بمصر – القاهرة (١٩٨٤م)

أوشال

للشاعر أحمد مشارى العدوانى

أول خطوة إلى مراجل الألم

أنك تحيا

وتعشق الأحلام والرؤى

أول خطوة إلى مراجل الألم

أن تحمل القلم

وتكتب التاريخ للقمم

تلك أبيات شاعر من أبرز شعرائنا المعاصرين، لا يحمل هموم وطنه الأصغر « الكويت » وآماله فحسب ، بل يستلهم من هموم وطنه الأكبر « العروبة » مداداً لقصيد الأحلام لنصدح معه ونترنم وفى أحايين أخرى نتألم .

إطلالة على صاحب التجربة

الشاعر أحمد مشارى العدوانى

ولد فى الكويت عام ١٩٢٣ م ، تخرج فى الأزهر عام ١٩٤٩م .

أصدر مع زميله الأستاذ حمد الرجيب مجلة «البعثة» سنة ١٩٥٠ م ، وتوقفت المجلة بعد ثلاثة أعداد لأسباب مادية .

شارك فى تحرير مجلة الرائد الصادرة عن نادى المعلمين فى الكويت عام ١٩٥٢م. عمل فى التدريس ، ثم تولى مسئوليات إدارية وفنية فى وزارة التربية (المعارف) كان آخرها الوكيل المساعد للشئون الفنية . عمل فى وزارة الإعلام منذ عام ١٩٦٥م مديرًا للتليفزيون ، ثم وكيلاً مساعدًا للشئون الفنية . خلال عمله فى وزارة الإعلام أنشأ المعهد العالى للفنون المسرحية ، والمعهد العالى للموسيقى ، كما أصدر مجلة «عالم الفكر» ، وسلسلة «من المسرح العالمى» .

عُيِّن أمينًا عامًّا للمجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب عام ١٩٧٣م .

أشرف على إصدار مطبوعات المجلس : سلسلة كتاب «عالم المعرفة» ، ومجلة «الثقافة العالمية» ، وسلسلة كتاب «التراث العربى» . صدر له ديوان شعر باسم أجنحة العاصفة عام ١٩٨٠م. تُرْجِمَتْ بعض قصائده إلى عدد من اللغات الأجنبية. تقاعد من العمل سنة ١٩٨٧م . وتُوفِّى فى ١٧ يونيو ١٩٩٠م . وبعد

رحيله أصدر المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بالكويت إبداعاته الشعرية تحت عنوان « أوشال » .

قالوا عن صاحب التجربة

العدوانى واحد من الآباء التاريخيين لأجيال متعاقبة من المثقفين الكويتيين ، وهو إنسان نبيل ، وأستاذ متفرد ، وصديق عزيز ، عملتُ معه سنوات عديدة كانت من أمتع سنوات العمر بحماسها المتدفق ، وعطائها المبدع ، وستبقى ذكرياتها حية داخلى ، وستظل كلُّ دقيقة فيها ذات معنى خاصٍّ بالنسبة إلىّ .

لقد كان العدوانى واحداً من الرجال الذين خاضوا مسيرة النهضة التعليمية والثقافية فى الكويت الحديثة ، وكانت بصمته واضحة فى كل موقع عمل فيه ، وأدى لوطنه ولأمته خدمات جليلة فى مجالى الثقافة والتربية ، وكان قبل ذلك وبعده واحداً من أبرز أعلام الشعر العربى المعاصر .

الدكتور سليمان إبراهيم العسكرى

رئيس تحرير مجلة العربى الكويتية

سيظل اسم أحمد العدوانى مقروناً إلى وصف الشاعر ، كما سيبقى موضع التقدير باعتباره أحد مؤسسى المشروع الثقافى العربى العام . إن أحمد العدوانى الشاعر الذى سطر شعره نحو خمسين عاماً واكب أهم تطورات القصيدة العربية وفن الشعر عامة فى علاقته بالمجتمع ، وبالسياسة ، وبفن صناعة القصيدة ، وفى استيعاب تجربته المتنامية فى دواوينه .

الدكتورة نسيمة الغيث

الأستاذ المساعد للأدب العربى بكلية الآداب بجامعة الكويت

فى مقالها : أحمد العدوانى : الشعر موقفاً بمجلة العربى الكويتية، العدد ٥١٠ مايو ٢٠٠١م

أضواء على التجربة

تجربة فريدة صيغت فى لوحات بيانية معبرة تفيض بحكمة الرمز الذى لا يعرف الغموض إليه سبيلاً ، فهو بيِّن الدلالة؛ لأن الحكمة لا تستقى منه إلا مقتضى التعبير الفنى ، وهنا تكمن عبقرية الشاعر الذى يعرف أقصر السبل إلى النفاذ إلى سويداء القلوب من خلال كلماته الشاعرة .

أوشال

أحمد منشاوى العدوانى

(١)

الزَمِ الصمتَ فما أكرَمَهُ موقفًا حينَ تسودُ الثرثرةْ
لنْ يضلَّ الركبُ فى داجى السُّرى وعلى الأُفقِ نجومٌ نيِّرةْ

(٢)

نامَ ولمّا صحا يبحثُ عنْ حلمِهِ
رأى نسورَ الضُّحى تأكلُ منْ لحمِهِ

.. فراعَهُ ما وَجَدْ
.. ونامَ نومَ الأبدْ

(٣)

قالَ لىَ الغرابْ :
ما هذه القصورْ ؟!
ما هذه الأحجارْ ؟!
ما هذه الزهورْ ؟!
ما هذه الأشجارْ ؟!
تنافرتْ فشوَّهتْ وجْهَ التُّرابْ ؟!

صدقْتَ يا غرابْ

امضِ بها إلى الخرابْ !

(٤)

ما كانَ يدرى أَنَّهُ طريدُ زمنِهْ

حتى رأى آثارَهُ فى وطنِهْ

منبوذةً

تلهو بها الرياحْ

فدارَ حول نفسِهِ

وبينَ كفَّيهِ

بقيَّةٌ منْ أمسِهِ

مضيئةُ الجراحْ

ضاقَ بحملِها . . .

فسكبَ النارَ عليها واستراحْ

(٥)

اجرِى بنا اجرى

أيتها السفينةْ

فراكب البحرِ

لا يطلبُ السكينة

تخاريف

للشاعر الكويتى

أحمد مشارى العدوانى

أضواء على التجربة

هذه التجربة فيها من حكمة بيدبا فى «كليلة ودمنة» ما يحملك على عدم التسليم بعنوانها؛ فهى تجربة ظاهرها التخريف وباطنها الحكمة، حكمة معاناة القابضين على الجمر الألى يزيد آلامهم تنعم المترفين بالجهل، وما من سبيل إلا الرضا بالقسمة العادلة: رضينا قسمة الجبار فينا لنا علم وللجهال مال

بيد أن الرضا لا يستوجب الإذعان بل هو عند العقلاء وقود لاستنهاض العزائم لإعادة الأمور إلى نصابها، فإن عد هذا تخريفًا فأنعم بها من تخاريف.

تخاريف

١- صيحة الديك

من أنا ؟ قال الديكْ:

لحمى نعمةٌ للآكلينْ

ريشى وسادةٌ للمترفينْ

سبحانى المليكْ

وليس لى شريكْ

فى نظرِ السكينْ

من أنا؟ قال الديك :

أنا مؤذنُ الصَّباحْ

صوتى تحيةُ الأفراحْ

لصبواتِ العاشقينْ

لكنّما الذبّاحْ

جازتْ علية رِيَبُ الرياحْ

فنشرَ الشكوكَ فى مدائنِ اليقينْ

أصحو أنبِّهُ النيامْ

ولى الظلامُ فانهضوا، ولى الظلامْ

لكنّ من أوغلَ فى مستوحلِ الأيامْ

وعبدَ الأنصابَ والأزلامْ

يحسبنى أُحبولةَ الشياطينْ

٢- عزف منفرد

فراشى المهجورْ

فى غابةِ الظلامْ

يفرُّ منه النورْ

وتهربُ الأحلامْ

وفى دُجى غرفَتى الساهدهْ

وسادةٌ باردهْ

أُلقى عليها رأسى

وثورةٌ باردهْ

أَكظمُها فى نفسى

ونزواتى الشاردهْ

أُغرقُها فى كأسى

والشعرُ والخيالْ

ومضُ جراحى

ولعب الآمالْ

خفقُ جناحى

●أوشال : أحمد مشارى العدوانى

جمع وقراءة : (خليفة الوقيان –د. سالم عباس خدادة

المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب–الكويت :(١٩٩٦م)

مواقف

للشاعر أحمد مشارى العدوانى

أضواء على التجربة

بماذا يحلم الشاعر؟ سؤال تعز الإجابة عنه إجابة محددة.

غير أن أحلام الشعراء على اختلاف ألوانهم يصل بينها نسيج واحد، وهى دائمًا فى صدام مع العواصف والأعاصير التى تفرضها الحيا ة تارة، ويصنعها الأحياء تارة أخرى.

وفى مواقفه يعرض شاعرنا أحمد مشارى العدوانى لحلمه، ثم تدبر هذا الحلم من خلال التساؤل، ثم يختمها بالتحدى.

مواقف

١- أحلم

(أ)

أحلمُ أنَّ الليلَ ورائى

والصبحَ أمامى

وسحابة أحلامى

تزرعُ أيامى

.. وإخالُ الحلمَ حقيقهْ

فأسربلُ ذاتى بحديقهْ

فإذا بى صرتُ ضحيهْ

فى تيه الأبديهْ

(ب)

أحلمُ أنِّى أُفقُ

يحفلُ بالأقمارِ

ويصبُّ عبيرَ الأنوارِ

وحجابُ الظلمةِ يحترقُ

وأنا كوكبُ أفراحٍ تأتلقُ وأفيقُ من الحلم

فوقَ فراشٍ للألمِ

نسجتْهُ مغازلُ للظلمِ

وانداحَ عليهِ القلقُ

(ج)

أحلمُ، والدنيا تحلم بى

أرفلُ فى ثوبِ نبىْ

ثم أثوبُ إلى نفسى

فأراها فى غيب الحبس

غمامةً تنحلُّ كالريحِ.. لا شكلَ لها ولا ظل

٢- توجيه

لكى تكونَ ربَّ ثروةٍ وجاهْ

طأطئ، وقبِّل الأنوفَ والجباهْ

أو نافس الشيطانَ فى طغواهْ

على شراع مركب

أبحرَ فى يَمِّ العُلا فتاهْ

وليسَ تدرى غيرُ أمةِ الزوالِ منتهاه

٣- تساؤل

أين حماةُ الدارِ والجارِ

تشهدُ أرضَها

« زنجيةٌ » فى حضنِ سمسارِ

يهتكُ عِرْضَها

٤- تحد

قلتُ للطاووسِ: ما المجدُ؟ وهلْ تعرفُ أهلَهْ؟

قال لى: ويحكَ ! إنى قد جمعتُ المجدَ كُلَّهْ؟

إنهُ ذيلٌ موشَّى تعشقُ الأنظارُ شكلَهْ

إنهُ ملكى وحدى.. أنتَ ، هلْ تملكُ مثلَهْ؟!

● أوشال: أحمد مشارى العدوانى

جمع وقراءة: د. خليفة الوقيان

المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب- الكويت: (١٩-٩٦م)

فى غرفتى

لشاعر البؤس عبد الحميد الديب

مهما يكن من بلاغتنا فى التعبير عن الرباط المقدس الذى يربط شاعرنا بالبؤس فلن نبلغ ما بلغه يراعه النافذ، فهو القائل :

دع الشكوى وهات الكأس نسكر
ودعك من الزمان إذا تنكر
وهام بى الأسى والبؤس حتى
كأنى عبلة والبؤس عنتر

وأنَّى لأمثالنا أن يبلغوا دِقَّتَهُ المتناهية فى تصويره للعلاقة الحميمة بينه وبين البؤس الذى هو شاعره حين يقول :

يا معشر الديب وافى كل مغترب ... إلا غريبكمُ فى مصر ما بانا
ذبحتمُ الشاة قربانًا لعيدكمُ ... والدهر قدَّمنى للبؤس قربانا
ليت العباد كلاب إن كلبتنا ... لما تزل لحفاظ الود عنوانا
تحملت قسطها فى البؤس صابرة ... لم تشك جوعًا ولم تستجد إنسانا

إطلالة على صاحب التجربة

- ولد عبد الحميد الديب عام ١٨٩٨ م بقرية كمشيش بمحافظة

المنوفية ، ولد لأسرة فقيرة بائسة فشب وترعرع بين البؤس والفاقة والحرمان !

- كان والده السيد الديب فلاحًا فقيرًا ، وكان يعمل فى مواسم القرية وأعيادها جزارًا ليعول أسرته الكبيرة القانعة ، ويردَّ عنها الجوع والعِوَز .
- أُلْحِقَ عبد الحميد الديب بكُتَّاب القرية فحفظ القرآن الكريم وجوَّده فى فترة وجيزة ، وفى تلك الحقبة من حياته كان ينظم شعرًا ساخرًا يهجو به أقرانه ويسخر فيه من الشيخ والعريف ، والصبية يضجون حوله بالضحك ، وكثيرًا ما سببت له هذه المقطوعات متاعب عدة فكان يضرب بالفلقة ! ولكنه لم يكف عن الإمعان فى هذا المجال .
- وبسبب فقر الأسرة المدقع ألحقه أبوه بدكان أحد جزارى القرية ليعمل صبى جزار لقاء قروش قليلة تساعد فى دفع غائلة الجوع عن الأسرة .
- غير أن أباه كان يحلم بأن يراه شيخًا مجاورًا فى الأزهر يجلس إلى أحد أعمدته ويدرِّس العلوم ويفسر القرآن لتلاميذه ومريديه .
- وهكذا اتجه عبد الحميد الديب إلى مدينة القاهرة عام ١٩٢٠م

ليلتحق بالأزهر الشريف ، وفى حى الحسين قطن بحجرة متواضعة بقصر الشوق .

- وفى الأزهر نهل من تراثه وقرأ أمهات كتب الأدب العربى ، فقرأ الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ، والأمالى لأبى على القالى ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ، والبيان والتبيين للجاحظ ، وغيرها من شوامخ الكتب فى الأدب العربى القديم.

- ومضت حياته بين دراسته فى الأزهر وكفاحه المرير فى سبيل لقمة العيش ، كان مريراً وقاسيًا استنفد جهده ووقته وماء وجهه ، فكثيراً ما كان ينام على الطوى لرقة حاله وضيق ذات يده .

- ثم صمم على الالتحاق بمدرسة دار العلوم العليا وكان له ما أراد، ومضى يقرأ أمهات الكتب وينهل من روائع الشعر العربى القديم ، غير أنه لم يكن يتقيد بمنهج أو بدراسة ، بل كان يقرأ ما يحلو له وما يتذوقه ، فكان يقضى جل وقته بدار الكتب ، يقرأ ويدون ملاحظاته فى كراسةٍ تلازمه يكتب فيها روائع قراءاته فى الشعر العربى .

- ورحل عنا شاعر البؤس عبد الحميد الديب فى ٣٠ من إبريل عام ١٩٤٣ م .

أضواء على التجربة

فى عام ١٩٢٠ م عندما اتجه شاعر البؤس عبد الحميد الديب إلى مدينة القاهرة ليلتحق بالأزهر الشريف ، وفى القاهرة عاش حياة بائسة، كان كثيراً ما ينام على الطوى لرقة حاله وضيق ذات يده .

فى تلك الحقبة قطن عبد الحميد الديب فى غرفة صغيرة بلا أثاث ولا فراش فى حى الحسين . ويرسم لنا شاعر البؤس صورة طريفة لغرفته التى كان يطلق عليها « جحر الديب » فى هذه التجربة الفريدة .

فى غرفتى

أفى غُرفتى يارَبُّ أم أنا فى لحدى ؟
ألا شدّ ما ألقى من الزمن الوغد
وهل أنا حىٌّ أم قَضَيْتُ وهذه
إهابة إسرافيل تبعثنى وحدى ؟
لكم كنت أرجو غرفة فأَصبتُها
بناء قديم العهد أضيق من جَدّى

فـــأهدأ أنفـــاسى يكـاد يهـــدُّها
وأيســـر لَمْسٍ فى بنايتـــهـــا يُردى

***

أرى النمل يخشى الناس إلاَّ بأَرضـهـا
فـأرجله أمـضى من الصـارم الهندى
تسـاكننى فـيـهـا الأفـاعى جـريئـة
وفى جـوها الأمـراض تفـتك أو تُعـدى
ترانى بهـا كلَّ الأثاث ، فـمـعطفى
فـــراش لنومى أو وقـــاء من البـــرد
وأمـــا وســـاداتى بهـــا فـــجـــرائد
تجـــدد إذ تبلى على حـــجـــر صلد

***

تعلمت فـيـهـا صـبـر أيوب فى الضَّنَا
وذقت هزال الجـوع أكثـر من « غـاندى »
جـــوارك ياربى لمثلى ... رحـــمـــة
فـخُـــذْنى إلى النيـران لا جنة الخلد !

● ديوان عبد الحميد الديب شاعر البؤس ، تحقيق ودراسة : محمد رضوان– المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة ، الطبعة الأولى (٢٠٠٠ م) .

ثورة بائس

عبد الحميد الديب

أضواء على التجربة

كثيرة هى تجارب البؤس فى إبداع شاعره الأوفى، وكيف لا والبؤس معينه الذى لا ينضب، فالبؤس عنده هو الصلة الروحية بين الأرض والسماء، هو صلة قلب الشاعر بربه وكفى! فهو القائل:

«ليس من شك فى أن البائس فى الدنيا هو مرشد الوسط الذى يعيش فيه وهاديه، وأخيراً هو الضحية والقربان للأحقاد والمفتريات».

وفى تجربته التى تحمل عنوان «ثورة بائس» ينافح شاعرنا عن حقه الطبيعى الذى يُتَنَكَّر له تحت مسوغات لامسوغ لها ، فقد حدث أن رفض أحد رؤساء الوزارات فى مصر عام ١٩٣٩ أن يقلد شاعر البؤس عملاً بحجة أنه ماجن عربيد؛ فكانت هذه التجربة الشعرية التى تفيض أسى وثورة ومرارة.

ثورة بائس!...

أيعفيك من دمعى نفورك من ذنبى؟
دع الذنب يحصيه ويغفره ربى
شربت بكأس أنت منشئ كرمها
كلانا بها طبٌّ على السلم والحرب
تلوم لتقصى الخير عنّى، وترتدى
غلالة ذى نسك تعبَّد فى خطبى
أتصبح قديسًا لتفسق بالندى
وتهبط بالأخلاق عن شرف القلب؟..
إذا كان قطع العيش عنى هدايةً
ضممنا إلى الأخلاق مكرمة الكذب
أيخذلنى من لو يشاء أغاثنى
ويُبدِلنى أمنًا من الخوف والرعب
وفكَّ إسارى حسْبةً لقصائدى
وإطلاق ورقائى من المحل والجدْب
أقلنى من حبسى على الدمع والأسى
وخذنى مدى عمرى حبيسًا على الكتب

* * *

طعنت سلوكى طعنة لو ببعضها
أُصيبت سماء الله قُدَّتْ من الشهب

* * *

دعونى وخمرى إن كأسى قيامة
من الموت فى بأساء عيشى أو كربى

* * *

تحيرت فى مصر فمرجع خيرها
إلى ثعلب يعدو على الناس أو ذئب
إذا ما كشفنا كنزها آض تبره
لمن لم يكن منه على مركب صعب
لكل خمول أو جهول، وتنتهى
إلى يدنا منه الفجائع بالنَّدب
أعوذ بآلاء الكنانة إنها
غدت هَمَلا كالعيس تَعطو إلى شرْب

* * *

أيُجمع قومى أن شعرى ملهمٌ
وأغدو عيالاً فى طعامى أو شُربى

فـــيـــا ذلّهـــا تلك المواهب إنهـــا
أضـــاعت إبائى بين أهلى أو صـــحـــبى
أتغـفل تقـديرى لشـعـرى وتنبـرى
لتـــصـــديق واشٍ جـــاء يأفك بالذنب
إذا قلت مظلوم تقـــــولون ظالمٌ
ويصـــبح مُـــرًّا فى مـــذاقكمُ عـــذبى
فـإنى كـالحـسناء فى بكر حـسنهـا
تُعـــاف فـــلا ترجى بعـــرس ولا حبّ
وكـــالكنز مـــرصـــودًا فليس بنائل
به كـاشفٌ يومًـا سـوى صـرخـة الرعب
أقلنى من ذا اللوم حـــتى تقـــيلنى
من البـــؤس واتركنى لما شـــاءَ لى ربى!

* * *

● ديوان عبد الحميد الديب شاعر البؤس

تحقيق ودراسة : محمد رضوان – المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة

الطبعة الأولى: (٢٠٠٠م)

فهرس

القصيدة	الصفحة
توطئة	٣
إننى قاتلة مقتولة	٥
قالت	١٠
نكبة الأندلس	١٦
أختى	٢٢
خمس وعشرون عامًا	٣٠
الشاعر المعلم	٣٦
تفاؤل وأمل	٤٢
أب	٤٧
لص منزل شاعر	٥٣
بين الرجل والطريق	٥٩
إلى صديقى النشال الظريف	٦١

القصيدة	الصفحة
حارس البنكنوت	٦٩
الطفلان العاشقان	٧١
إلى حواء العصر	٧٣
البعث حقيقة	٨٠
يامصر	٨٢
النساءوقص الشعر	٨٧
الشاعر والوظيفة	٨٨
البكاء بين يدى زرقاء اليمامة	٩٠
لا تصالح	١٠٢
هذيان	١١٥
حكمة الأفعى	١٢٤
أوشال	١٢٦
تخاريف	١٣٢

القصيدة	الصفحة
مواقف	١٣٥
فى غرفتى	١٣٩
ثورة بائس	١٤٤
الفهرس	١٤٨